# العادات والتقاليد في المجتمع النسطوري في القرن التاسع عشر

أ.م.د. عاصم حاكم عباس الجبوري م. علي طالب عبيد السلطاني

جامعة القادسية/ كلية التربية كلية الإمام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الإسلامية/ جامعة فرع ميسان

# Traditions and Customs in the Nestorian Society in the 19th Century

**Asst. Prof. Dr. Asim Hakim Al-Juboori / College of Education / University of Al-Qadisiya**

**Lect. Ali Talib Ubeid Al-Sultani / College of Al-Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences / University of Maisan**

awshakm@gmail.com.

**Abstract**

Aerqh factors Nestorians entered within the necessary national considerations to those Christian group, as the ethnic nerve has primarily about their children and their union thread, Vokhaddt so politically and socially organized form, yet they live in the mountainous Mnazlathm (especially in Hakara Ottoman), but that did not prevent the they connect and Mkhalthtm for the rest of their neighboring tribes (Muslims, Kurds, Turks), which resulted in a meeting on a particular set of customs and traditions of their own and that their advantage and in some cases for the rest of those textures, especially in regard to religious lives and social rituals on the occasion of marriage and death.

**Key words:** the demographic distribution to the Nestorians, religious life, ceremonies, traditions and customs

**الملخص:**

دخلت العوامل العرقية للنساطرة ضمن الإعتبارات القومية الضرورية لتلك لجماعة المسيحية، إذ أن العصبية العرقية قامت في المقام الأول نحو ترابط أبنائها وإتحادهم، فأخضت بذلك شكلاً سياسياً وإجتماعياً منظماً، ومع سكنهم في منعزلاتهم الجبلية (وخاصة في حيكاري العثمانية) ، إلاّ أن ذلك لم يمنع من إتصالهم ومخالطهتم لبقية الأقوام المجاورة لهم (مسلمين، أكراد، أتراك)، الأمر الذي نتج عنه إجتماعهم على مجموعة معينة من العادات والتقاليد الخاصة بهم والتي ميزتهم وفي بعض الأحيان عن بقية تلك القوام ، لاسيما في ما يتعلق بحياتهم الدينية وطقوسهم الإجتماعية في مناسبات الزواج والوفاة.

**الكلمات المفتاحية:** التوزيع الديموغرافي لنساطرة، الحياة الدينية، المراسيم، العادات والتقاليد

**المقدمة**

أدخلت التفسيرات العقائدية في طبيعة السيد المسيح (عليه السلام) الديانة المسيحية في مجادلات عنيفة، منذ الاعتراف بها بموجب مرسوم ميلان سنة 313م، إذ أفسحت عن ظهور فرق ومذاهب، تقودها نخبة من أساقفة كنائس المدن، تمتعوا بمقدرة واسعة في تفسير الكتاب المقدس بما يخدم ميولهم ومصالحهم الخاصة، فأفضت إلى تشكل أطر عقائدية منحرفة، تسببت في تصدع الكنيسة المسيحية، مخرجة إلى الوجود كنائس مستقلة كبرى. حاولت استخدام الحياة العامة للمجتمعات البشرية لتسويق فكرتها ومعتقداتها الشرقية والغربية، وأصبح لها أنصار في العالم المتوسطي، منهم من سيطر على طريق تجارية واخر احتكر مواداً غذائية، وتحكم بمقاطعات زراعية، فشعرت الكنيسة بقوتها، ثم لمست ثقلها في ميزان القوى.

رفعت القدرة والمكانه المتحققه من معنويات آباء الكنيسة ودفعتهم إلى زيادة التفقه في الدين، فتخلّوا عن بساطة الإيمان وغرقوا في المشاحنات وتوزعوا إلى فرق وشيع متباعدة كل واحدة منها اعتبرت نفسها الأصل وغيرها من الفروع، ومع ولادة كل فرقة جديدة، تتصدى لها الأكثرية للقضاء عليها، لكن المجابهة اسهمت في ولادة فرقة اخرى غير متوقعه، ما أربك الكنيسة الجامعة ( الكنيسة الأم) وجعلها تفتش عن الحلول في المجاميع المسكونية، التي كرست بدورها الإنشقاق والتباعد وزادت من التناحر الذي أفضى الى ظهور

فرق عرفت بالهراطقة، ولوحظ أن ظهورهم تحدد في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، وأن الطابع المتوسطي والتوجه الشرقي غالب عليهم، لأنه ندر قيام الهرطقات في القسم الغربي، إذ عدت روما نفسها الأساس في كل شيء وما يحدث من حولها انفصال عنها. ومن هذا المنطلق فإن الكنيسة النسطورية لم تولد فجأة، بل كانت نتيجة لعوامل وأسباب حصلت في القرون والمراحل التي سبقتها، وخلال مراحل التطور التاريخية اتبع المجتمع النسطوري في كردستان مجموعة من التقاليد والعادات أثرت عليه بشكل واضح وظهرت في القرن التاسع عشر بصورة طقوس مكتوبه ومعمول بها بين ابناء المجتمع النسطوري. تتألف البحث من عدة محاور رئيسة وخاتمة، شمل الأول التوزيع الجغرافي والديموغرافي للنساطرة كردستان ومنعزلتهم النائية، في حين تناول الثاني الحياة الدينية لتلك الأقلية المسيحية، وكل ما يتعلق بها من أماكن العبادة والطقوس والمراسيم الدينية، لاسيما وأن الرتب الدينية تبدأ بالبطريرك الذي يُعد الرئيس الأعلى بعد نسطور([1])(لمن إعتنق المذهب النسطوري)، ولقبه دائماً (مارشمعون)، بينما أشار المحور الثالث إلى مراسيم الزواج ودفن الموتى عندهم، وأيضاً قضايا الميراث التي كانت تُحل وفقاً لقوانين البلاد الساكنين فيها (الدولة العثمانية وبلاد فارس). في حين درس المحور الرابع بعضاً من عادات وتقاليد النساطرة الخاصة بهم والتي ميزتهم عن بقية الأقوام الأخرى، ومنها طرق التنبؤ بالمستقبل والعلاج بالسحر، وأيضاً التضحية بالحيوان وإهتمامهم بالسلاح والسرقة التي شكّلت عند البعض عيباً إجتماعياً، وكذلك عادة الأخذ بالثأر، بينما شملت الخاتمة أبرز النتائج التي تصول إليها البحث.

**المحور الاول: التوزيع الديموغرافي لنساطرة حيكاري وأورمية وأحوالهم الإجتماعية فيها**

توزع النساطرة بين الدولة العثمانية وبلاد فارس، وظهرت مستوطناتهم الرئيسة[2] في الدولة العثمانية في مرتفعات حيكاري، التابعة اداريا لولاية وان Van ، وشغلت القسم الجنوبي الشرقي من تركيا الحالية، وعاصمتها جولميرك أوكوليميرك بالفارسية، وتعني (مرتع الغزلان)، وفيها قرية قوچانس مقر البطرياركية النسطورية[3]، وتقع هذه المرتفعات في حوض نهر الزاب الأعلى وتشكل المنطقة الرئيسية لسكن النساطرة، إذ تشير الوقائع التاريخية إلى أن الاكتضاض السكاني لهم أو بالأحرى للسريان الشرقيين عامة، ظهر في السهول المحيطة بالجبال من ناحية الشرق، حيث تُشكل الحافات الغربية من بحيرة أورمية، أما من ناحية الجنوب فإنها تُشكل سهول نهر دجلة التي أهمها (سهل الموصل)، بينما من ناحية الشمال فنجد السهول الواقعة في منطقة وان، الأمر الذي يعني أنها تمثل الجزء الجنوبي من هضبة أرمينيا ، وفي الجهة الغربية تندمج السهول التي سكنها النساطرة بحافات الهضاب والسلاسل الجبلية التي هي في مقدمة مرتفعات طوروس[4].

تبلغ مساحة التي يسكنها النساطرة بحدود ثلاثة عشر ألف كيلو متر مربع، ومعظمها جبلية وعرة، مثلت قمة جبل (دورك) أعلى جبالها، إذ بلغ إرتفاعها حوالي (4500متر) فوق مستوى سطح البحر ويغطي القسم الجنوبي من جبالها، غابات كثيفة، وتنتشر فيها وديان كثيرة السهول إتخذها النساطرة أماكن لسكنهم، وأشهرها (ديز، جيلو، آشيثا، آلبق، خوشاب، خوراسار، كاروا، وغيرها)[5].

(1) ولد نسطور في سورية سنة 381 ثم اقبل إلى مدينة انطاكيا حيث تلقى العلم وأصبح راهباً وتأثر بتعاليم تيودوروس السائدة في انطاكيا والمناطق المجاورة، امتاز بالذكاء وفصاحة في التعبير عن رأيه، وفي سنة 428 نُصب بطريرك على القسطنطينية، وهو يرى إن الوحدة في المسيح ليست سوى وحدة خارجية وكان يشدد على التمييز بين الطبيعتين الإلهية والبشرية فالمسيح دعي الإله لأنه متحد كلمة الشرف بالسلطة، كما نادى بأن مريم لم تلد الله لذا لاحق لها أن تدعي أنها أم الله ومن افكار نسطور تشكلت الكنيسة النسطورية، التي لجاء اتباعها بعد وفاة نسطور الى الدولة الساسانية التي سمحت لهم في المكوث ونشر المسيحية في الشرق، وحاولت الاستفاد منهم للحصول على معلومات عن روما وقوتها، وقد اتخذ هولاء المسحيين من طيسفون مكان للكرسي الرسولي وننتقل بعد الغزو المغولي 1258 الى مدينة الموصل، وبعدها انتقل الى قوچانس وبقي الكرسي الرسولي للكنيسة النسطورية في قوجانس حتى قيام الحرب العالمية الاولى. لمزيد من التفصيل ينظر: اندري دي هالو، نسطوريوس التاريخ والتعليم، ترجمة البيرابونا، مجلة بين النهرين، العدد 59-69، بغداد، 1996، ص ص 285-313.

(2) رياض رشيد ناجي الحيدري، الاشوريون في العراق 1918- 1936، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب، جامعة عين شمس،1973، ص27.

(3) وليام ووكر روكويل، هروب الآشوريين المسيحيين في فارس وكردستان المثير للشفقة، ترجمة نجم الدين اوغلوا، نيويورك، العلوم للنشر، 1961، ص68.

(4) ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية (الكلدان والسريان والآشوريين والأرمن)، ترجمة: نافع سوما، مراجعة وتحقيق: الأب د.يوسف توما مرقس، بغداد، شركة الأطلس للطباعة، 2010م، ص26.

(5) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص27.

وصارت تلك الوديان مقاطعات قبلية استوطنتها لقبائل النسطورية (تيارى العليا، تيارى السفلى، تخوما،جيلو، باز، ديز)[1]. وتتألف تلك المقاطعات من حوالي مائتي قرية صغيرة، ضمت إلى جانب المسيحيين ، بعض الأقوام كالأكراد والمسلمين والأرمن[2].

توصف طبيعة حيكاري الجغرافية بانها على درجة كبيرة من الغرابة والوحشية، إذ أن جبالها تمتد كالقوس من ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى جنوبي مدينة بغداد تقريباً، ويشقها حوض نهر الزاب الأعلى الذي ينبع من شمالها ويجري مسافة في هضبة أرمينيا مخترقاً تلك الجبال حتى يصل سهل ما بين النهرين جنوب مدينة الموصل ليصب في نهر دجلة [3]، ولذا فقد اتصف مناخ القسم الشمالي منها بأنه قاري معتدل، بينما ترتفع درجة الحرارة وتزداد الرطوبة في القسم الجنوبي، ويضطر الناس في الذهاب إلى الجبال عند فصل الصيف في حين تنخفض درجات الحرارة في فصل الشتاء ، وتتساقط الثلوج بكثرة، فتقل حركة المواصلات بين اجزائها[4].

عموماً غالباً ما وصفت طبيعة المنطقة بأنها جميلة جداً فسفوح الأودية فيها، تغطيها تشكيلات من النباتات المتنوعة في بداية الربيع، كما تكثر فيها الحيوانات، ويتداول النساطرة في ما بينهم حكمة مفادها لا تسير بدون سلاح، لكثرة الحيوانات المفترسة في مناطقهم، ومنها الدببة ، والذئاب الموجودة بأعداد كثيرة وتمثل خطراً حقيقياً على الأهالي، لاسيما في موسم الشتاء، ويستعين الرعاة النساطرة بالكلاب (ذات اللون الأسود) لحماية قطعانهم، كما وتكثر الخنازير الوحشية في الجبال الأقل ارتفاعاً والتي تكسوها الغابات، ويوجد الوعل بأعداد لا بأس بها، وهو من صنف الوعول جميلة الرؤوس وذوات القرون الطويلة، وتوجد الفهود وبندرة، أما الضباع التي يسموها (آكل القاذورات) فإنها موجودة في بعض المناطق، وانواع الطيور قليله وما يعيش في كردستان يوجد في مناطق النساطرة، وهي في الغالب من النوع الذي يستمتع الناظر به، فيوجد الصقر الذهبي والحدأة، كما يوجد اللقلق الذي يطلقون عليه اسم (حجي لقلق)، لأنهم يعتقدون إنه يأتي إلى مناطقهم في الربيع قادماً من مكة المكرمة، ويوجد طائر العقعق ذات اللون الأسود، والهدهد الذي يسمونه (طائر سليمان)، وهم يعتقدون بالأسطورة القديمة التي تذكر أن الهدهد كان بالأصل فتاة رائعة الجمال إلا أنها شديدة الغرور برقعها بالشكل الذي تمليه الحشمة واللياقة[5].

دفعت صعوبة التضاريس وعدم جود الأراضي الطبيعية في المنطقة، إلى قيام النساطرة بإنشاء مزارعهم بأنفسهم، واخذوا باستغلالها في زراعة كميات قليلة من محاصيل الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والدُخن، لتامين متطلبات حياتهم اليومية والادخار لفصل الشتاء، لنقطاع الطرق المؤدية إليهم، اذ تصبح فيه الممرات الجبلية الوعرة صعبة أو مستحيلة الاجتياز ولهذا فإن استيطان هذه المنطقة كان قد اقتصر على أبناء القبائل الجبلية والذين بإمكانهم تحمل حياة شاقة وغير ثابتة وهو ما شتهرت به قبيلة تيارى (العليا والسفلى) النسطورية بامتهانها زراعة محاصيل الحبوب ورعي الخراف على سفوح تلك الجبال[6].

تروي بعض المصادر ان حياة النساطرة في حيكاري شهدت تبدل كبير في السنوات الاخير من القرن التاسع عشر، احدثتها التغيرات المناخية فيها، اذ عمدوا الى تهيئة الغذاء اللازم لحيواناتهم فنصرفوا إلى جمع الحشائش وتجفيفها قبل حلول موسم الشتاء البارد الممطر، إذ تحول الثلوج والأمطار فيما بعد دون حصول عليه، فضلا عن تشيدهم المنازل في الوديان التي يسكنوها في الشتاء، بينما يصعدون إلى الجبال في الصيف، اذ توجد لديهم مصايف كثيرة وعلى مسافات مرتفعة وكثيرا ما تصارعوا عليها مع الأقوام المجاورة لهم في حيكاري، مثل الأكراد القاطنين في المنطقة الواقعة إلى الغرب من حيكاري، والأرمن في الشمالها [7].

(1) غابريال يونان، حتى لا ننقرض الهولوكست المنسي- إبادة الآشوريون المسيحيون في تركيا وبلاد فارس، بيروت، 1996.، ص 20.
(2) أسامة نعمان، تاريخ الآشوريين ، ج1، بغداد، 1970، ص29.
(3) دبليو.أي .ويكرام وإدكار.أي. ويكرام، مهد البشرية الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، اربيل، 2010م ، ص237
(4) أسامة نعمان، المصدر السابق، ص31.
(5) دبليو.أي .ويكرام واخرون، ص ص 233- 236.
(6) Henry. Field, The Anthropology of Iraq . vol.2, Kurdistan , 1952. P.64.
(7) ف.ف. مينورسكي، الأكراد ، ملاحظات وانطباعات، ترجمة معروف خزندار، بغداد، 1968، ص16.

يُعد الطابع القبلي الصفة البارزة والمميزة لحياتهم، ومن أشهر قبائلهم، تيارى العليا والسفلى وجيلو وتخوما وباز وديز، واعتبرت كل من تيارى العليا والسفلى وتخوما، من أكثر القبائل النسطورية أهمية، بسبب امتلاكها أعداداً كبيرة من الأغنام التي تعتبر العامل الاقتصادي المهم في وسيلة العيش والسكن، خاصة مع وجود مساحات واسعة من المراعي التي سيطرت عليها، فضلاً عن كثرة الغابات في مناطق سكناها [1]. بينما عُدت كل من (جيلو، وباز ، وديز) ، من القبائل ذات الأهمية الثانوية، لصغر حجمها وقلة عدد أفرادها، وعدم امتلكها أراضٍ يستطيعون زراعتها ورعي مواشيهم فيها، ولذا فإنهم قضوا معظم حياتهم في التنقل وعدم الاستقرار. وتخضع كل قبيلة أو عشيرة لسلطة رئيس اعلى يطلق عليه لقب (ملك أو مالك Malik) وهو تابع لسلطة بطريرك الكنيسة النسطورية المقيم في قرية قوچانس، كما كان وسيطاً بين القبائل الأخرى[2].

عرفت قبائل تيارى بأنها من أقوى القبائل النسطورية، واشتهر رجالها بشجاعتهم، وتميزهم عن باقي سكان الجبال من النسطوريين بنظافة ثيابهم وبيوتهم[3]. وبكثرة أعدادهم إذا ما قورنوا ببقية أعداد أفراد القبائل النسطورية الأخرى، التي كانت تعيش معها في نفس المنطقة. والجدول الآتي يوضح أعداد القبائل النسطورية الستة لعام 1841م، استناداً إلى مشاهدات وتقديرات الرحالة والمبشرين الغربيين الذين زاروا مناطقهم خلال المدة (1831- 1854م).

**جدول (1) يمثل أعداد القبائل النسطورية في حيكاري[4]**

| ت | اسم القبلية | عدد أفرادها | عدد القرى التي تسكنها | عدد قطعانها من الماشية |
|---|---|---|---|---|
| 1 | تيارى العليا | 27.500 | 70قرية | 800 قطيع من الأغنام والماعز |
| 2 | تيارى السفلى | 21.000 | 58 قرية | 400 قطيع من الأغنام والماعز |
| 3 | تخوما | 18.500 | 35 قرية | 250 قطيع من الأغنام والماعز |
| 4 | جيلو | 11.000 | 16 قرية | 150 قطيع من الماعز فقط |
| 5 | باز | 8.500 | 14 قرية | 75 قطيع من الماعز فقط |
| 6 | ديز | 7.500 | 9 قرى | 40 قطيع من الماعز فقط |

يظهر الجدول اعلاه ان المجتمع النسطوري في كردستان كان في معظمه قبلي التكوين وتشكيلاته تعتمد على القبيلة وقوتها بما تمتلك من افراد وقطيع من الماشية، فضلا عن بعض مستوطنات القروية الصغيرة التي تمتهن الزراعة وتكون في الغالب مستقرة.

وفي الجهة المقابلة سكن النساطرة في بلاد فارس، السهول الواقعة إلى الغرب من بحيرة أورمية الواقعة إلى الشرق من مدينة أورمية. وشطرت الجبال المنطقة إلى قسمين، شرقي وغربي، امتاز القسم الشرقي منها بصلاحيته للاستيطان والزراعة، في حين كان القسم الغربي مكوناً من أراضٍ جبلية وعرة لا تصلح للزراعة [5].

خلافاً لإخوانهم الحيكاريين، خضع النساطرة في أورمية للسلطات الفارسية، ونادرا ما تخضع بعض القرى النسطورية الواقعة على الحدود بين الدواتين العثمانية والفارسية، لسلطة للأغاوات العثمانيين، اتصف نساطرة اورمية بانهم مزارعين مهره، ويصف احد

(1) عبد الرحمن قاسملو، كردستان والأكراد، بيروت، 1970، ص17.

(2) غابريال يونان، المصدر السابق، ص24.

(3) قاسم عبد الرحمن، الأكراد في كردستان، مجلة المشرق، العدد(28)، السنة السادسة عشر،بغداد، 1913، ص502.

(4) الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

Murat Gokhan Dalyan ,Inheritance, condolence and funeral procession in Nestorian Society in the 19 th century, Turkey, 2011. P.242.

ظهرت مبالغات كثيرة في إعطاء رقما تقديرياً لأعداد نفوس النساطرة في حيكاري،تراوح بين 70 ألفاً إلى250 ألفاً،لأن أكثر التقديرات تجعلهم ضمن المنظومة السكانية لكردستان. للمزيد ينظر: أمين محمد سعيد، أيام بغداد، القاهرة، 1934، ص329؛ يوسف ملك، قبرص وبربرية الأتراك في القرن العشرين، بيروت، 1955، ص230؛ جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج1، بغداد، 1964، ص79

(5) عبد الرحمن قاسملو، المصدر السابق، ص17.

الرحالة الاوربيين قرهم بنها جميلة وتقع في محيط المدن الكبيرة، وارضيهم خصبة تكثر فيها والبساتين ومزارع العنب ويدفعون جزءاً من محاصيلهم إلى سيد القرية وكبيرها[1].

سُميت المنطقة التي سكنتها القبيلة النسطورية في أورمية بإسمها، وضمت مجموعة قرى مجاورة لبعضها ، فعشائر مدينة أورمية مثل (اليادغر، ودومان، وخنوي، وشاباس، وأمريخاس، وداقاجان، وتاركوار، وماركوار، وبرادوست)، جميعها كانت أسماءاً لقرى نسطورية عاشت جنباً إلى جنب مع المسلمين[2]. وتكونت العشيرة الواحدة – شانها شأن قرينتها في حيكاري– من مجموعة أفخاذ، سكنت عدداً من القرى القريبة من بعضها، وبشكل تجمعات سكانية تجمعها وتربطها فيما بينها صلة القرابة، وهذه الأفخاذ مكونة من مجموعة من العوائل الكبيرة، تراوح نفوس العائلة الواحدة منها ما بين (40–60 شخصاً)[3].ولكل قبيلة زعيم يسمونه، الملك أو المالك، وأن لكل فخذ منها كبيراً أيضاً يسمونه (رئيساً)[4]. ويختارون الرئيس عن طريق الانتخاب، إلاَ أنهم يراعون توفر مجموعة من الصفات في من ينتخبونه تُسهل عليه الحصول على ثقة جماعته، ويجوز عندهم أن تصبح الرئاسة وراثية، فيما لو توفرت فيه نفس الصفات المطلوبة، وأهمها الجدارة العقلية والجسمية، وبذلك يصبح الوريث مؤهلاً للرئاسة[5]. وفي حالة حدوث مشكلة لدى القبائل النسطورية، فإن جميع الأفخاذ التابعة لتلك القبيلة تجتمع لمناقشتها، وإيجاد الحلول المناسبة لها، ويكون دور الزعيم الأعلى للقبيلة (الملك) دور المشرف والموجه والمنفذ لآراء ممثلين الأفخاذ (الرؤساء) وتقع عليه أيضاً مسؤولية حماية أفراد قبيلته ضد الهجمات التي تقوم بها بقية القبائل النسطورية الأخرى أو القبائل الكردية، إذ إن أغلب النزاعات والهجمات حصلت بين القبائل النسطورية بسبب الصراع على أماكن رعي الماشية ، كما يتولى هو نفسه قيادة هجمات الثأر أو الانتقام، وفي حالة حصول قتال بين القبائل النسطورية نفسها، فإن الملوك (رؤساء القبائل) يستعينون بالبطريرك لمنع ذلك[6].

امتنعت الحكومتان العثمانية والفارسية ولاعتباراة سياسية عن تقديم احصائات حقيقية عن اعداد النساطرة ، وفي الوقت نفسه عطى النساطرة ارقام غير حقيقية عند تسجيل عوائلهم خوف من فرض مزيد من الضرائب عليهم، كما حصل لنسطوريوا فارس، ويتفق معظم المؤرخين على أن أعدادهم في حيكاري تعادل ضعف أعدادهم في أورمية[7]، خاصة مع حصول هجرات سنوية بين المنطقتين نحو حيكاري التي وصلها كثير من النساطرة الفرس، بسبب وجود العلاقات والروابط الاجتماعية بينهم (رابطة الدم أو النسب)، او عدم استطاعتهم دفع ما ترتب عليهم من التزامات ضريبية للحكومة الفارسية ناتجة من سوء أو تلف المحصول الزراعي، الأمر الذي دفعهم بالتالي إلى اللجوء لإخوانهم في حيكاري، والذين كانوا متحصنين في أماكن يصعب على السلطات الحكومية الوصول إليها، فضلاً عن معرفتهم المسبقة بالطرق والممرات الجبلية التي توصلهم إلى هناك وجدول رقم( 2) يعطي تصور واضح عن الاعداد التخمينية لنساطرة في اورمية .

**جدول (2) يوضح أعداد النسطوريين في أورمية لعام1876م [8]**

| ت | اسم القبيلة | عدد أفرادها | أهم القرى التي سكنتها وعدد أسرها | المهن التي عملت بها |
|---|---|---|---|---|
| 1– | اليادغر | 18 ألف نسمة | اليادغر، بارك–400 أسرة | الزراعة |
| 2– | دومان | 12 ألف نسمة | ليتايهن، ساتي–300 أسرة | الزراعة |

(1) أسامة نعمان، المصدر السابق، ص31.

(2) لورانت شابري، سياسة وأقليات في الشرق الأوسط- الأسباب المؤدية للانفجار ، ترجمة ذوقان قرقوط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1991، ص36.

(3) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص35.

(4) يرادف كلمتي (الملك والرئيس)، كلمة الشيخ عند القبائل العربية. مع العلم أن كثيراً من التقاليد النسطورية القديمة في حيكاري وأورمية لم يبق منها إلا القليل عند أهل القرى، في حين طرأت تغيرات كثيرة على سكان المدن، دانيال اوكشيني (تولد 1922)، مقابلة شخصية معه في مدينة تبريز بتاريخ 2014/6/27م.

(5) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص35.

(6) محمد تقي مصباح، المجتمع والدولة في إيران من وجهة نظر غربية، طهران، مكتبة حكيمي،1963، ص306.

(7) المصدر نفسة، ص 308

(8) الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على: ي. بيريزين، رحلة في شمال فارس، ترجمة محمد نهاوندي، بيروت، 1957، ص ص 96- 103.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 3- | شاباس | 10 آلاف نسمة | أوراماري- 250 أسرة | الزراعة |
| 4- | خنوي | 8 آلاف نسمة | چاور، خنوي- 200 أسرة | الزراعة |
| 5- | أمريخاس | 8 آلاف نسمة | أومرييل، موكري- 200 أسرة | الزراعة |
| 6- | داڤاجان | 8 آلاف نسمة | والتو، ديالو- 150 أسرة | الزراعة |
| 7- | تاركوار | 5 آلاف نسمة | تيكاريا، أرجيلو- 120 أسرة | الرعي |
| 8- | ماركوار | 4 آلاف نسمة | بورور- 100 أسرة | الرعي |
| 9- | برادوست | 3 آلاف نسمة | برادوست- 80 أسرة | الرعي |
| 10- | تال(طال) | 3 آلاف نسمة | غستاك، تال- 60 أسرة | الرعي |

يتضح من الجدول أعلاه،أن أعداد النساطرة في أورمية اقل من أعدادهم في حيكاري، على الرغم من أن قبائلهم فاقت بكثير القبائل النسطورية في حيكاري، لضيق المساحة التي تصلح للسكن ونشاط الزرعي في المنطقة التي عاشوا فيها في أرومية، على عكس المنعزلات الجبلية التي عاش بها النساطرة في حيكاري.

تعددت مناطق سكن النساطرة واختلفت علاقاتهم مع الأقوام المجاورة لهم من منطقة إلى أخرى، فمثلا نساطرة حيكاري، اختلفت علاقتهم بالأتراك تبعاً لاختلاف طبيعة المنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها، فسكان الجبال مثلاً- وهم رعاة في الأغلب – وبسبب ظروف حياتهم وصراعهم المستمر مع جيرانهم الكرد، وطبيعة الأرض التي يسكنوها، التي منحتهم الفرصة لتكوين دفاعات طبيعية ضد أعدائهم، فأكسبتهم شخصية ميالة للقتال، مكنتهم لأن يكونوا عدوانيين وجامحين ضد التهديدات الخارجية، وغير خاضعين لقوانين أو سلطة معينة. وبالتالي وعلى الرغم من قلة أعدادهم مقارنة بالكرد، إلا أنهم نجحوا تماماً في القتال ومجابهة الأعداء [1]

بنى النساطرة قلاعاً محاذية للأماكن سكناهم، لحماية أنفسهم من أعداؤهم، والدفاع عن مناطقهم، وقد دمر الكرد أغلبها، أثناء غاراتهم وهجماتهم على القرى النسطورية، ولعل قلعة قرية زاير Zeir، من أهم تلك القلاع التي بقيت محافظة على خرائبها حتى سنة 1856م، شاهداً واضحاً على ذلك [2]، وكذلك قلعة قرية تورشين Torsheen، وقلعة قرية تشايل Tschal، اللتان لا تزالان تحتفظان بجزء من بناءهما حتى الآن [3].

**المحور الثاني: الحياة الدينية (أماكن العبادة والطقوس والمراسيم الدينية)**

تبتدئ الرتب الروحانية عند النساطرة بالبطريرك الذي يعتبر الرئيس الديني الأعلى بعد نسطور، لمن إعتنق المذهب النسطوري، ويلقب دائماً بـ(مار شمعون)، كما أنه يحمل دائماً الصفة الإقطاعية بإعتباره رئيساً للقبائل النسطورية كلها، وله مقر خاص في قرية (قوچانس) في منطقة حيكاري[4]. ويعتمد إعتراف الملوك (رؤساء القبائل) النسطوريين بسلطة المار شمعون، على ما يتمتع به من مواصفات شخصية تساهم في بقاءه وإستمراره في سلطاته على هؤلاء الملوك، فإذا ما إمتاز بشخصية ضعيفة، فإن إعتراف الملوك النساطرة بسلطته يكون إسمياً، وعموماً فإنه لا يفضل إقحام نفسه في شؤون القبائل ومشاكلها، إلاّ إذ إقتضت الضرورة ذلك، لكنه كان مواظباً على حضور الإجتماعات التي يعقدها شيوخ القبائل بشكل متواصل ومنظم في القاعة الموجودة في قوچانس مقر إقامته، وفيها يتم عرض مشاكلهم عليه لكي يقوم بحلها[5].

(1)Robert Dekelaita,The Origins and Development of Assyrian Nationalism (Chicago, 1967),P. 9.

(2) وجيه كوثراني، المسيحيون من نظام الملل إلى الدولة الحديثة – المسيحيون العرب دراسات ومناقشات، ط2، بيروت، 1983، ص1.

(3) ب. ليرخ، المصدر السابق، ص53.

(4) مار معناها السيد، وتطلق على القديس والبطاركة، والأساقفة، ينظر:

Henry Field,The Anthropology of Iraq . vol.2, Kurdistan , 1952, P.64.

(5) محفوظ محمد عمر العباسي، امارة بهدينان العباسية، الموصل، 1969، ص211. ولم تقتصر تلك الإجتماعات على رؤساء وشيوخ القبائل فقط ، بل يزورها بعض الناس النسطوريين لمقابلة المار شمعون فيها، ويسبق عقد الإجتماعات ، تقديم القهوة للحضور. ينظر: رياض رشيد ناجي الحيدري، المصر السابق، ص36.

والرئاسة الدينية لدى النساطرة وراثية، ووجدت شروط معينة على البطريرك الإلتزام بها وتطبيقها، فهو لا يسمح له بالزواج أو تناول اللحوم، كما أن والدة البطريرك المقبل(ولي العهد) لا يسمح لها بتناول اللحوم أيضاً، وعند وفاة البطريرك تنتقل هذه المرتبة الدينية وتتحول إلى الإبن البكر لأخيه الأكبر، وما ينطبق على البطاركة من شروط، فإنها تطبق بحق المطارنة أيضاً، ففي الوقت الذي إنحصرت فيه مرتبة المار شمعون في عائلة أبونا النسطورية، فإن رتب المطارنة إنحصرت كذلك في عوائل معينة، أما القسس النساطرة فيسمح لهم بالزواج وأكل اللحوم [1]. وفي الحقيقة فإن الإنجيل لا يشترط في رجال الدين النساطرة،عدم السماح لهم بالزواج كما أن أحد الحواريين ذكر أن " إحتراق الإنسان بشهوة الزواج يعتبر خطيئة". وأشار إلى أن البطاركة والمطارنة كانوا يتزوجون في السابق، غير أنه رأى ونتيجة لظروف الإضطهاد التي مرَت بها الكنيسة الإنصراف لأعمال الكنيسة والتفرغ لها بشكل كلي، فبقي هذا التقليد سائداً إلى الآن [2].

ومن المهم الإشارة هنا، إلى أن الكتاب المقدس وأنظمة الكنيسة لا تشترط أن تكون مرتبة البطريرك والمطران محصورة في عوائل معينة، وقد أدى عدم إهتمام الرؤساء النساطرة بالتقاليد الدينية، إلى فقدان وجود نظام خاص ومدروس يمكن الإعتماد عليه والإلتزام به، ولهذا فقد أصبحت هذه المرتبة محصورة في عوائل معينة إستغلتها لمنافعها الذاتية، ونتيجة لذلك رفض النساطرة تلك العملية وأقروا مبدأ الإنتخاب [3]. وما إنشقاق يوحنا سولاقا عام 1553م، الذي أدخل الكنيسة النسطورية في مشاكل داخلية كثيرة، فضلاً عن المشاكل الخارجية، إلاَ مثالاً على ذلك. علماً أن النظام الوراثي في الكنيسة النسطورية كان قد إستمر إلى مراحل تأريخية معاصرة، لعل آخرها ما حصل في سنة 1963، بين المار شمعون وخاله يوسف خنانيشو من جهة، ومطران النساطرة في الهند (توما درمو) من جهة أخرى، حيث عارض المطران إلتزام الكنيسة بالنظام الوراثي، وكانت النتيجة إنقسام الكنيسة النسطورية إلى قسمين سُمي الأول منها وهم الموالون للمار شمعون بـ(أبناء الكنيسة الشرقية النسطورية)، بينما سُمي الثاني وهم المعارضون له بـ(أبناء الكنيسة الرسولية الجاثليقية القديمة للطائفة النسطورية الشرقية)[4].

إنحصرت الأعمال التي يقوم بها البطريرك بين تعيينه للمطارنة للعمل في مختلف الأسقفيات والأبرشيات الدينية المنتشرة في منطقتي حيكاري وأورمية، إلى توزيعه للمناصب الكنسية الأخرى (القسس والشماسين)، فضلاً عن قيامه بعقد الندوات والمحاضرات الدينية لحل المشاكل التي تواجه النساطرة في الجانب العقائدي[5]. كما يقوم أيضاً بجباية الضرائب وتوزيعها بين مستحقيها، وبهذا فإنه تمتع بمكانة كبيرة بينهم وخصوصاً في حيكاري لدرجة إعتقدوا معها أن الماء الذي يغتسل به هو ماء مقدس، وعليهم إطاعة أوامره مهما كانت طبيعتها[6].

يأتي بعد البطريك أهمية من الناحية والزعامة الدينية، المطران وإقتصرت هذه المرتبة على أسرة من النساطرة سكنت في مقاطعة شمدينان التابعة لولاية وان التركية، وتلك الأسرة هي أسرة (خنانيشو)،التي كانت لها سلطة الإشراف المباشر على الأساقفة[7]. ويلي المطران الأسقف، فالخوري، فالقس، ثم الشماس[8].

أما مورد الكنيسة فيعتمد بالدرجة الأولى على الضرائب السنوية وأهمها ضريبة العشر المفروضة على الأراضي، وهي على العموم تدفع من جميع النساطرة العاملين في الزراعة – فيما عدا الإقطاعيين ورؤساء القبائل– حتى مع تضرر أو تلف المحصول

(1) ستورث أرسكين، فيصل ملك العراق، عربه عن الانكليزية عمر أبو النصر، بيروت، 1934، ص240.

(2) أنور المائي، الأكراد في بهدينان، الموصل، 1960، ص250؛ أسامة نعمان، المصدر السابق، ص35؛ ألبرت مينتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمه عن الروسية رؤوف الكاظمي، موسكو 1969، ص229.

(3) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص37.

(4) المصدر نفسه، ص38.

(5) المصدر نفسه، ص39.

(6) A. W.Wigram, The Assyrian and their Neighbours(London,1920),P.204.

(7) Ibid, P.209.

(8)Ibid,p. 210.

الزراعي في سنة من السنين[1]. كما كان النساطرة ملزمين بتقديم الهدايا للبطريرك عند تجواله في قراهم، وكذلك للقساوسة الذين كان معظمهم ذو مكانة إقتصادية مميزة ، حصلوا عليها عن طريق بعض الرسوم الضريبية الخاصة بعقود الزواج ومراسيم دفن الموتى، وكذلك أيضاً عن طريق أخذهم لقسم من الأموال المترتبة للكنيسة مقابل وصولات حسابية غير صحيحة تسلم إلى البطريرك [2].

أدى النساطرة طقوسهم في كنائسهم الخاصة بهم والموجودة في المناطق الرئيسة التي كانوا يعيشون فيها، فضلاً عن وجود أسقفيات كثيرة تتبع الكنيسة الأصلية في إداء طقوسها وشعائرها الدينية، ففي أورمية إنقسم النساطرة في عباداتهم على أسقفيتين تابعيتين لمنطقة أورمية نفسها، أحدهما في أورمية، والثانية في سولدوز الواقعة في الجنوب الشرقي من أورمية، وقد شملت أسقفية أورمية على مجموعة من القرى الكثيرة التي سكنتها عائلات نسطورية مختلفة، وأهمها (كوكايا، وتل السماء، ودياگالان، وگولباشان، وعادا وسبورگان، وتحويلان، وموشاباد، وقراجلوا، وعبجلوا، وكهربحش، وأرديشي، وزاتكيا)[3] . وإحتوت تلك القرى على (800 بيت) تقريباً، أغلبها من عشيرة اليادغر القوية، وتُدار دينياً من قبل خمسة أساقفة موزعين من حيث الأهمية والشرف والمنزلة والقِدم، على خمسة قرى نسطورية، أولها في كوكايا وأسقفها يلقب بـ(أشعيا)، والثاني والثالث في أرديشي وعادا ويلقب بـ(إيليا)، والرابع في گولباشان ويلقب بـ(يونان)، والخامس في زاتكيا ويلقب بـ(إيليا) أيضاً، وهؤلاء الأساقفة الخمسة يعطون العشور الضريبية للبطريرك النسطوري الأعلى (المار شمعون) كل ثلاث سنوات[4].

أما أسقفية سولدوز فيتبعها بحدود (1500 بيت) من النساطرة، وأكبر قراها هي ماونة، ولعبت هذه الأسقفية وبشخص أسقفها( حنَا يشوع)، دوراً مهماً في تخفيف معاناة الفقراء والمساكين من وطأة المجاعة التي حلَت بهم في سنة 1881م ، إذ إتفق هذا الأسقف مع البطريرك النسطوري (مار روئيل) على تقسيم الواردات الضريبية المقررة على أسقفيته (العشور الضريبية)، على المحتاجين والمستحقين مما مكنهم في النهاية من تجاوز مجاعة تلك السنة[5].

وفي غربي سولدوز وشمال أورمية (الأسقفيتان النسطوريتان في بلاد فارس) إنقسم إخوانهم الحيكاريين على عدَة أسقفيات لتكون مكاناً يؤدون فيه طقوسهم الدينية، فإلى الغرب من حيكاري وجدت جبال شامخة وأودية وعرة وعميقة تسمى (داسان العليا)، وهناك سكن أهل جيلو، وعددهم فيها يقرب على (750 بيتاً) ولهم فيها أسقف إسمه (مار سركيس) جالس في قرية (مار زيعا) إحدى قرى قبيلة جيلو[6]، وأكبر قرية فيها هي زيريني وفيها بحدود (100 بيت)، وفي تلك القرية بالذات كان مقر إقامة رئيس جيلو الملقب بـ(ملك)،الذي خضع له أيضاً سكان القبائل الأخرى المسيحية غير النسطورية ومنهم الكاثوليك[7].

والى الغرب من جيلو، كان موقع قبيلة باز التي تضم حوالي (700 بيت)، منهم (160 بيتاً) من المسيحيين البروتستانت الذين قاموا بفتح مدرسة ليلية في قرية ماتاختيشا النسطورية، وبإشراف القس(دانيال البازي)، ومارس النساطرة عباداتهم في أسقفيتهم الكبيرة في قرية بازي التي تُعد أكبر القرى النسطورية في باز. وحاول البروتستانت من خلال تلك المدرية الليلية، التأثير على بعض الشباب النسطوري من خلال إقامتهم بإلقاء بعض المحاضرات الدينية التي تؤكد على إلوهية السيد المسيح وإنه المنقذ الذي سينصفهم من غارات الأتراك والأكراد المتكررة [8].

(1) ألبرت مينتشاشفيلي، المصدر السابق، ص231.
(2) أسامة نعمان، المصدر السابق، ص36؛ ألبرت مينتشاشفيلي، المصدر السابق، ص232.
(3) بطرس نصري الكلداني، أصل النساطرة الحاليين وأحوالهم الدينية والمدنية، مجلة المقتطف، العدد(110)،القاهرة، ص497.
(4) المصدر نفسه ، ص498.
(5) المصدر نفسه، ص499.
(6) المصدر نفسه، ص500.
(7) المصدر نفسه، ص501.
(8) توركت فخري بيك، نظام الملل وأثره على الدولة العثمانية، ترجمة فتحي حسن حمدي، القاهرة، 1969، ص46.

بينما مارس سكان تخوما الواقعة جنوبي باز، شعائرهم في القرية الكبيرة المسماة( تخوما گوايا)، وسكانها يبلغون (800 بيت)، ولهم كنيسة كبيرة وجميلة سميت بـ(كنيسة مار فثيون) [1]. علماً أن النساطرة في تخوما يؤلفون بحدود (200 بيت) مع وجود أعداداً قليلة معهم من الكاثوليك والأرمن والبروتستانت [2] .

وعلى مقربة من تخوما سكنت قبائل التيارية أو الطيارية وهي أكبر العشائر النسطورية كلها، إذ يوجد فيها حوالي (5000 بيت)، وأكبر قراها في قرية أشيثا وفيها بحدود (600 بيت) نسطوري، ولهم كنيسة بإسم (مار كيوركيس) وهؤلاء التيارية مقسمون إلى أربع عشائر، وهي أبناء القلالي وأبناء الأكمة، وهم سكان القسم الأعلى من بلاد التيارية، ويعرفون تأريخياً بإسم (تيارى العليا)[3]. وكبيرهم (الملك) يسكن في قرية كنشا، وهم يحبونه ويهابونه لدرجة أنه لا يوجد بينهم من يتجاسر ويخالف أمره في شيء [4]. أما العشيرتان الأخريان فهما (گيا وقرية القصر)، وهؤلاء يدبرهم ويقودهم ملك قرية برخو المعروفة بإسمها السرياني (راگولا داسلا)، وتسمى هاتان العشريتان بإسم (تيارى السفلى)[5]. وقد سكن البرواريون المعروفون بـ(السفليين)، بالقرب من جبال التيارية، وأكثر أولئك كاثوليك، إذ إهتدى أسقفهم( إيشوعياب) نحو الإيمان الكاثوليكي سنة 1885م ، وإتخذ من كنيسة (مار يوسف) في قرية دوري، مقراً ومكاناً لممارسة طقوسهم الدينية[6].

وما خلا تلك العشائر أو القبائل النسطورية التي ذكرت، وجدت قبائل أخرى من النساطرة، ومنهم سكان (لوين)، وبروار العليا، أو قوچانيس والديزيين وأهل بابغاش ، وجميعها مارست عباداتها وطقوسها الدينية بإشراف وتدبير من العائلة الشمعونية (مار شمعون)،التي هي عندهم في غاية التوقر والإحترام، وأولئك يعرفون لدى هذه العائلة بإسم (المسيحيين الحيكاريين المخلصين)[7].

ومن وجهة النظر المعمارية، فإن الكنائس النسطورية في كردستان غير ممتعة لأنها عبارة عن هياكل صغيرة وبسيطة، وهذه البساطة في البناء ربما كانت عن قصد حتى لا تكون واضحة وتجذب إهتمام الآخرين بها، وبالتالي سوف تكون عرضة للمصادرة والتملك من قبل البعض (وخاصة المسلمين)، الذين يعتبرون إن دينهم (الإسلام) هو المذهب الرسمي لشعوب الإمبراطوريين العثمانية والفارسية الخاضعتين لهما مختلف الطوائف والملل غير المسلحة ومنها النسطورية[8].

والإشارة المهمة والوحيدة لتلك الكنائس هي وجود صليب فوق الباب، إذ أن من القوانين التي يجب مراعاتها عند النساطرة أنهم لا يقومون بخدمة كنائسية دون جعل الصليب بإزائهم، وهم يعتقدون أنه بلا صليب لا تتم صلاة ولا قداس ديني قطعاً، وهذا مدون عندهم في كتبهم الدينية والتي غالباً ما تبتدئ بالعبارة التالية: (نعم إن هذا الصليب مجرد من تمثال السيد المسيح لكنه دليل كاف على إكرام الصليب)[9]. كما إن الأبواب كانت واطئة على وجه العموم، وقيل إن ذلك مقصوداً حين يضطر الداخلين للكنيسة إلى إنحناء رؤوسهم إحتراماً وتقديساً لها [10]. لكن هناك من أشار إلى أن السبب الأكثر إحتمالاً في ذلك، هو لمنع الأكراد من إدخال ماشيتهم إلى الداخل وتدنيس الكنيسة [11]. والكنائس النسطورية بشكل عام مثيرة للإهتمام من الداخل أكثر منها في الخارج، فهي مزينة بالصور الفضية لمختلف أناجيلهم، ولصلب المسيح ولمريم العذراء، وكذلك للقديسين والرسل والشهداء، وكتبت على تلك الصور نقوش وعبارات

(1) ممد علي سجادية، سخني چند بيرامون كردها ولهجة كردي، ارمغان دجوره سي وهشتم، مرداد وشهر يور 1348، شماره 49، ص335.
(2) بطرس نصري الكلداني، المصدر السابق، ص505.
(3) المصدر نفسه، ص505.
(4) المصدر نفسه، ص506.
(5) المصدر نفسه ، ص507.
(6) محمد علي سجادية، المصدر السابق، ص336.
(7) المصدر نفسه، ص337.
(8)Aubrey.R.Vine, The Nestorian churches A concise History of Nestorian Christianity in Asia from the Persian schism to the modern Assyrians, London, 1937, P.189.
(9) بطرس عزيز ، اكرام الصليب والصور عند النساطرة، مجلة المشرق، العدد (18)، السنة العاشرة، بغداد، 5 أيلول، 1907م، ص845.
(10) Aubrey.R.Vine,Op.Cit.,P.190.
(11)Adrian Fortescue, The Lesser Eastern chraeches .London ,1913,P.145.

بديعة ومرصعة بالذهب والفضة مثّل البعض منها، أسرار حياة السيد المسيح من مولده إلى قيامته وعلى حسب رُتب الأعياد ومعاني الصلوات، وإحتفظ النساطرة وإلى اليوم ببعض من تلك الصور، والتي سُرق الكثير منها، وخاصة في فترات الإضطرابات والمعارك والغارات، وبيعت في بعض المدن الأوربية مثل لندن وباريس، بعد أن إشتراها الرحالة والمبشرون والآثاريون، من سارقيها النساطرة أو غيرهم[1].

تبدأ الشعائر الدينية النسطورية من خلال دعوة المصلَين إلى الصلاة عن طريق الضرب على جرس خشبي بمطرقة،إذ كان المبشرين الغربيين وراء إستخدامهم لهذا الجرس(الناقوس)، ثم ينزع المصلون أحذيتهم عند دخلوهم إلى الكنيسة، إلاَ إن غطاء الرأس (العمامة أو الطربوش)، يتم نزعها عند أداء الشعائر أو الفرائض التي تؤدي يومياً مرتين (صباحاً ومساءاً)، ويقوم بأدائها رجال دين يرتدون ملابس متميزة، وضعت في خزانة خاصة في إحدى الغرف التابعة للكنيسة، بما في ذلك الأحذية التي يرتدونها والتي غالباً ما تكون باللون الأبيض[2]. وهؤلاء الرجال دائماً يطلقون لُحاهم الطويلة، لأنهم يعدَون حلاقة الوجه عاراً كبيراً[3].

وقدَسَ النساطرة المذبح تقديساً كبيراً، إذ يعلقون فوق قدس القداس صورة كبيرة من الخشب أو من الشمع، للسيد المسيح ويدعونها (يوقنا)، ويطلونها بالزيت المقدس، ومن ثم يؤتى بأواني التقديس التي تخدم بها الأسرار المقدسة، كالصواني والكؤوس والمراوح وألبسة الذبح ما عدا الصليب والإنجيل، ومن ثم يبدأون بترتيل ما يعرف عندهم بـ(قداس البيعة) والذي نصه: **(إن كنيستك أيها المُخلَص حاملة كنزاً وغناً سماوياً بالأسرار والرموز التي سلمتها له وإليها تلتجئ وبها ترجوا، وهذا كتاب بشارتك العظيم وعود صليبك المسجود له وصورة ناسوتك الجميلة فما أعظم أسرار خلاصك)**[4]. وهذا القداس يتلوه قسيس الكنيسة الذي ينادونه في الوقت الحاضر بكلمة (كشيش) ويردد الأتباع وراءه ذلك، ويكرروه أكثر من مرة[5]. أما القربان المقدس فلم يكن كل يوم أحد، بل في أيام الوليمة الرئيس فقط، وغالباً ما كان يحدث صباحاً، وأحياناً أخرى بعد الظهر، وكان على كل من يشارك بالقربان المقدس (العشاء الرباني) هو أن يكون صائماً منذ منتصف الليل الماضية، وتبدأ الطقوس بصنع الخبز الذي ينبغي أن يكون ممزوجاً بالخميرة المقدسة مع القليل من الماء والملح وزيت الزيتون[6]. وإعتقد النساطرة أن تلك الشعيرة تعود إلى العشاء الأخير للسيد المسيح، والذي كان يُحضر أصلاً من رغيف خبز المسيح الرب الذي أعطاه إلى القديس جون والذي خلطه ببعض من الدم الموجود على الصليب ومن ثم خلطه مع الدقيق والملح وقسمه بين الرسل، ويستعمل قليل منه مع الخبز المستخدم في العشاء الرباني ، ويعتقد النساطرة بإنهم الوحيدين من المسيحيين الذين حافظوا على إستمرارية ذلك [7].

أما الشعائر التعميدية فكانت طويلة وتتم في أيام الوليمة فقط، كما في القربان المقدس، إذ يتم تعميد العديد من الأطفال ولمرة واحدة فقط، تكون عادة في اليوم الرابع عشر من أيلول (يوم ولادة نسطور)، أو في بعض الأعياد الكبرى، عن طريق الماء الذي يباركه القس، والذي يغسل فيه الطفل بعد ولادته في شعيرة خاصة يسمونها (التأشير)، وخلالها يعطى الطفل إسماً خاصاً به[8]. أما التعميد الحقيقي ففيه يُدهن الطفل بزيت الزيتون، ومن ثم يغطس ثلاث مرات في جُرن أو(عين ماء) المعمودية إذ يمسك الطفل ووجهه نحو الشرق، ويبدأ القس بتلاوة بعض الأدعية والتراتيل الدينية –وغالباً ما تكون في شكل تعليقات على الإنجيل– إلى أن يقول: **(إن الطفل فلان تم تعميده باسم الأب وباسم الإبن والروح القدس إلى الأبد)**، وتنتهي بذلك طقوس التعميد[9].

(1) سيد علي مجيد ميردامادي، مسيحيت درإيران، تهران، إطلاع رساني وكتابداري، كتاب دين، 1377هـ.ش، ص13.
(2) أحمد رهدار، مبلغان مسيحي وتبليغ عليه اسلام درإيان عصر قاجاريه، ميان رشته أي رواق أنديشه، تهران، 1384هـ.ش، ص61.
(3) المصدر نفسه، ص64.
(4) بطرس نصري الكلداني،المصدر السابق، ص1508.
(5) بطرس عزيز ، المصدر السابق، ص846.
(6)Aubrey. R.Vine,OP,Cit.,P.191.
(7) Ibid.P.192.
(8) Ibid.P.194.
(9) A.W.Wigram,Op.Cit.,P.197.

وتعد الصلاة اليومية عند النساطرة من النوع الإعتيادي، وتتم في الكنيسة عادة، غير أن طقوسهم الموسمية، تمتاز أحياناً بأنها رائعة، ففي صلاة عيد الميلاد تضرم النار في ساحة الكنيسة، ويجري تمثيل بعض المشاهد الدينية، وقبل هذا كله فإنهم يعمدون إلى غسل وجوههم وأيديهم بالماء [1].

**المحور الثالث: مراسيم الزواج ودفن الموتى عند النساطرة**

إمتاز الزواج عند النساطرة بتقاليد خاصة، فيكون محصوراً داخل القبيلة الواحدة ونادراً ما يكون من قبيلة إلى أخرى، وتحتم تعاليم الكنيسة عليهم بأن لا يتزوج الشقيقان من إمرأتين شقيقتين، وغالباً ما يكون الزواج عندهم في عمر مبكر، ويعتمد على موافقة أهل العروسين إعتماداً مباشراً، ولا يُسمح للنسطوري بتعدد الزوجات[2].

وتتمثل مراسيم الزواج عندهم، بذهاب والد العريس عادة إلى خطبة الفتاة، وإذا كانت العروس بعيدة يحق لقريب أو وكيل القيام بذلك، وعند وصول والد العريس أو من ينوب عنه إلى بيت العروس، تبدأ المناقشات حول المهر المطلوب والذي غالباً ما يكون مرتفعاً وغالياً، فالنساطرة بصورة عامة يأخذون المهور بكمية ليست ببسيطة[3]. ومن المفضل عندهم هو أن تكون المهور نقدية وبحسب مكانة ومنزلة العريس، لكنه من المألوف أن نجد منهم من يستلم المهر على شكل حيوانات (أغنام، ماعز، أبقار)، بل وحتى الخيول والبغال، أو على شكل عينات من مواد غذائية (طحين، قمح، شعير، دُخن)، أو إعطاء قسم من أرضه- إذا كان مالكاً للأرض- إلى أهل العروس[4].

والزواج عندهم يدوم أسبوعاً كاملاً يبدأ ببعض الطقوس الدينية، ويلزم أبناء القرية النسطورية بحضور حفلة الزواج، التي تتخللها توزيع المشروبات وإقامة مأدبة الطعام، كما تؤدي مختلف الرقصات التي تشابه كثيراً الرقصات الكردية، وتُغنى بعض الأغاني النسطورية الدالة على العشق والهوى والتغزل بالنساء، وعلى كل ما من شأنه إسعاد الحضور وإبتهاجهم بتلك المناسبة[5]. ويقدم الضيوف مختلف الهدايا للعريس وتجلب شجرة صغيرة يتم تزيينها بطريقة خاصة، وبعد إجراء مزايدة عليها بين الحاضرين، يتبرع صاحبها للعروسين بما وصلت إليه من ثمن[6].

وعند وصول العروس إلى بيت زوجها ينثرون على رأسها القمح والزبيب، ثم يقوم الزوج بقذف ثلاث تفاحات عليها موضوعة في إناء، والخطيبة عندهم شبه زوجة حتى وإن لم يدخل عليها، ويعدَون طقوس الخطوبة نصف إكليل، ويتم فسخ الخطوبة بوثيقة مثل وثيقة الطلاق أحياناً[7]. وعند ولادة الطفل يُمسح بالملح، وحين تنجب المرأة لا يحق لزوجها الإقتراب منها مدة أربعين يوماً إذا كان المولود ذكراً ، وستين يوماً إذا كانت أنثى[8].

إمتاز النسطوري بإحترامه الكبير للنساء، فهو يحترم زوجته ويحفظ لها كرامتها وشخصيتها في بيتها، ولا يضيق عليها في الإنفاق ولا يحقر من شأنها، ولا يجبرها على العمل لاسيما في الأعمال الدونية مثلما تعمل بعض المجتمعات الغجرية، إذ يعتمد الرجال على كسب النساء ويعيشون على عرقهن[9].

---

(1) Ibid,P.198.

(2) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص42.

(3)موفق نيسكو، السريان الاسم الحقيقي للآراميين والآشوريين والسريان، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2012م، ص221.

(4) عبد الكريم هادي، المجتمع العثماني عادات وتقاليد مستوحاة، بغداد، جريدة الاستقلال، العدد(254)، 15 تشرين الأول 1923.

(5) إيشو مالك خليل جوارو، الآشوريون في التاريخ، ترجمة عن الإنكليزية سليم واكيم، بيروت، 1962، ص181.

(6) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص42.

(7) عزت زكي، كنائس الشرق، القاهرة ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،2000، ص119.

(8) في كنيسة (كيلساي أنجيلي) في تبريز، صادف دخول الباحث لهذه الكنيسة، قيام قسيسها (كشيشها) بتعميد بعض الأطفال المولدين حديثاً، ولاحظ الباحث إن والدّي الطفل هما من قاما بمسح طفلهما بالملح وليس القسيس، وعند سؤال والد الطفل عن ذلك، ذكر أنه مخول من القسيس بعمله هذا، لأنه لا يمتلك الوقت الكافي للقيام بذلك، كما أجاب على بعض الأسئلة الموجهة له، ومنها أنه ذكر أن قسماً كبيراً من تلك العادات النسطورية القديمة ألغيت منذ منتصف القرن العشرين. مقابلة شخصية أجراها الباحث مع السيد يوناداب (والد الطفل مرتا) والذي أعطي له في اليوم نفسه هذا الاسم، في باحة الكنيسة بتاريخ 2014/6/18م.

(9) موفق نيسكو، المصدر السابق، ص222.

ولا يتم الطلاق عندهم، إلاّ في حالة الزنى، وبعد إجراء محاكمة دينية يُسمح لهما بالزواج بعد مضي مدة زمنية تتحددها لهام الكنيسة، وإذا صمم أحدهما على الطلاق، فلا يسمح له بالزواج إلاّ بعد وفاة زوجته ويطبق ذلك يحق الزوجة أيضاً[1].

وعند موت النسطوري فإن وجهه يُدار نحو الشرق، لأن النساطرة كانوا ينظرون إلى الشرق في صلاتهم، وبنيت كنائسهم بإتجاه الشرق أيضاً، وطبقاً للإعتقاد نفسه، فإن المرضى الذين يحتضرون يوجهون نحو الشرق ويبقوا بهذا الوضع حتى موتهم[2]. وبعد الموت يبدأ موكب الدفن أو كما يطلقون هم عليه (الموكب الجنائزي) بمدة قصيرة وبوقت مبكر من المسيحيين الغربيين، والسبب في ذلك يعود إلى المناخ الحار في المناطق التي عاشوا فيها،لاسيما في فصل الصيف، كما إن مدَة الموكب الجنائزي إختلفت بإختلاف الشخص الذي يُدفن سواء كان رجل دين، أو امرأة، أو رجل، أو طفل، فكانت مدَة الموكب الجنائزي لرجل الدين تأخذ وقتاً أطول من غيرها[3].

ويقف إلى جانب الشخص المحتضر شخص ما أو أحد أقربائه المقربين لاسيما في ساعاته الأخيرة، يقوم بوضع كلتا يديَ الميت على صدره ويغمض عينيه ويمدد رجليه، وعندما يموت الشخص ويبقى مفتوح العينين، فإن أعضاء العائلة يقومون بإرسال طلب لأحد أقربائه الموجودين في مناطق أخرى لحضور الجنازة، وذلك لكي لا يبقى الميت قلقاً حول الأشياء التي خلفها من بعده[4]، وفي تلك الأثناء يقومون بتحضير الكفن والغطاء، ففي أورمية تصنع الأكفان أو تُشترى أو يتم الطلب لصنعها، أما في المناطق الجبلية في حيكاري، فإن النساطرة لم يتمكنوا من شراء الأكفان، لذا فهم يصنعون لوحاً يضعونه ككفن في القبر، وعندما يموت طفل غير مُعَمدّ من قبل، فإنه يعمد فوراً قبل دفنه، لأنهم يؤمنون بأنه إذا لم يُعمد فإن روحه تستحق النار وليس الجنة، ووفقاً لهذا الإيمان فإنهم يعمدّون الأطفال المولدين خارج إطار الزواج قبل دفنهم، كما يُعمد الأطفال الشرعيين[5].

وعند موت الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (7–10 أيام)، فإن النساء تدفنهم من دون مراسيم دفن أو تعميد، ولكن عندما يموت طفل عمره (6 أشهر)، فإنه يُعد أحد أفراد العائلة، ويقوم قسيس بدفنه مع أُناس آخرين حوله، وعلى أية حال فإن مدَة دفن الأطفال (أي موكبهم الجنائزي) تستغرق وقتاً أقل من البالغين[6].

وفي بيت صاحب الدفن، وبعد أن توجه وجه الميت نحو الشرق، ويشعل البخور عند أصابع قدميه، يتم إستدعاء القسيس وأقرب أقرباء الميت إلى البيت، لتبدأ الصلاة عليه بقيام القسيس بوضع صليباً خشبياً في سطل مملوء بالماء، بعد تكليف شخصاً ما بتسخين الماء الموجود فيه الصليب الخشبي، تم بعد ذلك يُغسل جسد الميت من قبل رجل كبير السن أو من قبل أشخاص مسؤولين عن دق الأجراس في الكنائس[7]، سواء أكان الشخص الميت رجلاً أو إمرأة، مع مراعاة قيام إمرأة كبيرة السن بتغسيل المرأة الميتة، وخلال عملية الغسل يقوم الشخص المسؤول عنه بإخراج الصليب من الماء، وبعد ذلك يتم غسل الجانب الأيمن ثم الجانب الأيسر، ومن ثم يوضع الصليب المبارك من قبل القسيس في حوض التغسيل وتُشعل شمعة بالقرب منه، ومن الضروري بقاء الشمعة مشتعلة لمدة ثلاثة أيام[8].

وبعد إكمال عملية غسل الجثة، يتم خياطة زوج من السراويل للرجلين وقميص للصدر من قماش خيمة قديمة، إذ تستخدم ككفن لتغطية الجثة، على أن يبقى وجه الميت مكشوفاً لبعض الوقت، وتجري كل تلك العملية وفقاً لتعليمات في النصوص الدينية

(1) عبد الكريم هادي، المصدر السابق.

(2)Murat Gokhan Dalyan , Inheritance, condolence and funeral procession in Nestorian Society in the 19 th century, Turkey, 2011,P.242.

(3)Arthur.J.Maclean and William.H.Browne,The Catholicos of the East and Huspeople (London, 1892),P.286.

(4) Ibid,P.288.

(5) Murat Gokhan Dalyan ,Yuzyil Nasturilerindekilik Kultura, Adryaman Universitesi ,2010,P.20.

(6) Murat Gokhan Dalyan, Inheritance,Condolenc,P.243.

(7)Ibid,P.244.

(8) Arthur.J.Maclean and William.H.Browne,Op.Cit.,P.289.

النسطورية تدعى(كاهيناتاKahneita )، و(أنيظاAnneedha)، وتتضمن الأولى ممارسات ينبغي على المسؤول الديني العمل بها خلال الموكب الجنائزي، أما الثانية فتحتوي على العديد من الترانيم والأشعار بحسب نوع الجنس والطبقة الإجتماعية[1].

وبعد أن تكتمل عملية تكفين الجثة، فإنها تُحمل على أكتاف أربعة أشخاص يتبعهم جمهور مكون من رجال ونساء وشباب، يتوجهون نحو المقبرة يقودهم قسيس، وأثناء ذلك يوضع الكفن ويُرفع عن الأرض ثلاث مرات في كل مرة منها يوضع على الأكتاف، على أن تُشعل شمعة في بيت الميت من لحظة خروج الجنازة وتوجهها نحو المقبرة، وتبقى هذه الشمعة مشتعلة لمدة ثلاثة أيام[2].

وفي الطريق إلى المقبرة يتوقف المشاركون في الدفن، ويضعون الميت أمام بيت أقرب أقرباءه أو معارفه، فتجتمع النساء حول الميت ويبكون عليه، وفي بعض الجنائز النسطورية لا يُسمح للنساء بالبكاء كثيراً أو الحزن عليه أو رش الماء على القبور، لأنهم يعتقدون أنه وفي مثل هكذا حالات فإن روح الميت ستعاني من الألم في داخل القبر[3]. وعند مدخل المقبرة تعود النساء ولا تدخلها، ويوضع الجنازة على الأكتاف ثانية، ويُغطى الكفن خلال مراسيم الدفن بسجادة خاصة، ويوضع بالقرب من القبر، فيأخذ القسيس بيديه حفنة من التراب ويرشها على الكفن وكذلك يفعل الباقون[4].

ولما كانت الأراضي الزراعية في حيكاري خصبة فإن المقابر كانت تُقام في مناطق صخرية عند زاوية طريق القرية، وكان لكل عائلة فيها جزءاً من هذه المقابر، أما في منطقة أورمية فأن المقابر كانت موجودة خارج القرية، ولا توجد مقابر بالقرب من الكنائس، إذ أن المقابر الحالية الموجودة في باحات الكنائس تعود قديماً لجثث الأساقفة والمطرانيين الكبار الذين دفنوا فيها[5]. ويختلف عمق القبر الذي يُحفر للميت بإختلاف نوع الجنس، إذ يحفر لجثة المرأة أعمق من الرجل وفسّر النساطرة ذلك بأن الأم حواء كانت سبباً في موت آدم [6]. وعند وضع الجثة في القبر توضع على حافته أحجاراً من جهة الرأس، وبعد هذا الموكب يقوم رجل دين بقراءة بعض الترانيم الدينية عند القبر، في الوقت الذي يقوم به الرجال الحاضرين، ولاسيما الشباب بمواراة القبر بالتراب، ثم يقوم القسيس بوضع صليب على القبر من جهة الرأس، وفي أورمية يضع نساطرتها صخرة عند القدم أيضاَ، أما في حيكاري وتحديداً في مقابر قبيلة تيارى العليا فإنهم يضعون صخرة عند الرأس فقط، وعلى تلك الصخرة (الموضوعة عند القدم أو عند الرأس)، تعلّق ثياب الميت عليها لمدة ثلاثة أيام، ثم تعاد ثانية إلى البيت حين يتم إستخدامها ثانية، وعلى قبور النساطرة الميسورين تُبنى غرفة صغيرة بإرتفاع متر واحد فقط[7].

وبعد مراسيم الدفن يقول الحاضرون لأصحاب الجنازة **(تعازينا لكم ولعائلتكم)**[8]، وبالمقابل يرد أصحاب الجنازة **(نحن متفهمون ومهتمون بكم)**، ثم يخرج الجميع من المقبرة، ويذهبون إلى جانب نهر أو بركة ما ويصلّون مع القسيس، وإذا لم يكن هناك نهر أو بركة في المنطقة التي يعيشون فيها، فإن القسيس والحاضرين في الجنازة يتجمعون حول طشت فيه ماء ويصلون حوله، وبعد إتمام الصلاة يغسلون وجوههم بالماء الموجود في الطشت، وبعد ذلك يتوجهون إلى بيت المتوفى للتعزية ومن ثم تناول العشاء، ثم يذهبون إلى بيوتهم مباشرة[9].

وبعد مرور ثلاثة أيام من دفن الجثة، تذهب النساء النسطوريات إلى المقبرة وهنَ يحملن طشتاً فيه ماءً وقد وضعن فيه الصليب الخشبي الذي وضعه القسيس في الماء بعد الوفاة مباشرة، ويقوم هذا القسيس الذي ينتظرهن عند القبر برش الماء عليه ومن ثم

(1) Murat Gokhan Dalyan ,Yuzyil ,P.22.

(2) توفيق حسن مصطفى، ممارسات وطقوس قديمة، القاهرة، مطبعة جادة القدس، 1957، ص33.

(3) Murat Gokhan Dalyan ,Yuzyi ,P.22.

(4) Ibid,P.23.

(5) Ibid,P.25.

(6) توفيق حسن مصطفى، المصدر السابق، ص38.

(7) المصدر نفسه، ص46.

(8) المصدر نفسه، ص48.

(9) أحمد رهدار، المصدر السابق، ص102.

الصلاة على الميت، ثم تقوم النساء بعد ذلك بإخراج الصليب من طشت الماء وتنصيبه على القبر ومن ثم يكسرنَ ذلك الطشت ليتوجهنَ بعدها إلى الكنيسة، إذ يضعنَ قدراً كبيراً أمام بابها يطبخنَ فيه الطعام ويقدمنَه للحاضرين، وذلك الطعام عبارة عن قطعة من اللحم وقطعة من الخبز يأكلها الحاضرون قبل مغادرتهم الكنيسة [1].

وعندما تكون الجنازة لرجل دين (قسيس مثلا) فإن الموكب الجنائزي يتم في باحة الكنيسة، ويتم تقبيل يده من قبل كل الحاضرين، لكن الجنازة لا تدخل إلى داخل الكنيسة إذ لا يُسمح بدخول الجنازة إلى داخل الكنيسة بإستثناء جنازة البطريرك، كما إن جثث الموتى من البطاركة والأساقفة والمطارنة تغسل دون نزع ملابسهم، ولا يغسَل سوى أيديهم وأقدامهم ورأسهم، ويدفنون في كنيسة (مار – يونان)، الواقعة في حيكاري في قرية قوچانس وحصل ذلك في السنوات الأولى من سكن النساطرة في تلك المناطق ، ولكن بعد ذلك صار يُدفن على طول الجدار الغربي لتلك الكنيسة[2].

وبإنتهاء مراسيم الغسل والتكفين والدفن، ينبغي تشريف الميت بزيارته في الأيام (الثالث، والتاسع، والثلاثون) وكذلك في الذكرى السنوية له، ووفقاً لمعتقد النساطرة فإن الناس يجتمعون في تلك الأيام لإحياء ذكرى الشهداء[3]. ففي اليوم التاسع للميت يذهب الجميع (أقربائه وأصدقائه وأبناء منطقته) إلى الكنيسة والمقبرة مرة أخرى، ليبدأ صاحب العزاء بتقديم العشاء إلى الذين يقدمون التعازي والمواساة، وفي نفس اليوم وبعد العشاء يأخذ كل شخص بعض من ملابس الميت ويعطيها إلى الفقراء والمحتاجين والمنكوبين، كما يتم دعوة أحد الحلاّقين لحلق الحزانى، وخلافاً لأولئك الذين يعيشون في حيكاري، فإن إخوانهم في أورمية يختارون أقرب الأقارب إلى الميت ليبدأ بحلق الحزينين بعد ثلاثة أيام من الوفاة [4]. وبعد سنة كاملة من الموكب الجنائزي يجتمع النساطرة في الكنيسة مرة أخرى لرثاء الميت، ويذبحوا من ( 5–10 خرفان ) أو (1–2 ثيران)، ويقدمون طعامها إلى جميع القرويون في القرية[5].

ويتم حل قضايا الميراث في المجتمع النسطوري بحسب تقاليد وعادات وقوانين البلاد التي يعيشون فيها، فالنساطرة في بلاد فارس، قسَموا الميراث بين الأرمل والأرملة والأطفال بحسب القوانين الفارسية، بينما في المناطق النسطورية التي خضعت للهيمنة العثمانية، فإن قانون الميراث ينظم وفقاً للتقاليد النسطورية، ولذلك حصل الأرمل على نسبة تراوحت بين الثلثين والخمس (5/1) من الميراث، حين إعتمد ذلك على كون الأرمل لديه أطفال أم لا، أما الأرملة فتأخذ الثلث أو العشر (10/1) من الميراث، بالإعتماد أيضاً على كونها لديها أطفال أم لا، أما الوليد (الإبن) الوارث فله ضعف ما للأنثى (البنت) الوارثة، وإذا مات الزوجين من دون عقِب، فإن الميراث يؤول إلى الأب والأم، وإذا لم يكن لهم أب أو أم فإن الميراث يذهب إلى الإخوان والأخوات، وإذ لم يكن لهم إخوة وأخوات فالأجداد أحق بالوراثة، وإذ لم يكن لهم أجداداً، فيؤول الميراث إلى العمام والعمات[6]. عندما ننظر إلى قانون الميراث في المجتمع النسطروي نرى تشابهاً كبيراً بين النساطرة وجيرانهم المسلمين، وهي نتيجة طبيعية لأقوام مجاورة بعضها للبعض الآخر، فالطبيعة البشرية دأبت على التأثير والتأثر بما يحيط بها من متغيرات وفي مختلف الظروف وعلى مراحل تأريخية مختلفة.

**المحور الرابع : بعض من عادات وتقاليد النساطرة**

إحتفظ النساطرة أو كما صار يطلق عليهم (ممثلو السلالة الآشورية القديمة)، بالكثير من الطقوس الدينية التي إمتازت ببدائيتها وقدمها إلى الحد الذي لا يمكن معه إيجاد مثيلاً لها في أي مكان آخر، ومن بينها عادة إستخدام الفنون السحرية القديمة، ففي كل قرية سكنوها تقريباً كان هناك رجل كبير السن أو امرأة مسنَة كانا على دراية ومعرفة بالسحر والتعاويذ، حيث لا يزال هناك بعض

(1) بطرس، عزيز، المصدر السابق، ص861.

(2) توفيق مصطفى حسن، المصدر السابق، ص49.

(3) Murat Gokhan Dalyan, Yuzyil, P.23.

(4) Justin Perkins, A residence of Eight Years in Persia , abiny The Nestorians Christians with Notices of the Muhammedans, New York, 1843, P119.

(5) Arthur.J.Maclean and William.H.Browne,OP.Cit.,P.28.

(6) توفيق حسن مصطفى، المصدر السابق، ص49.

المجاورين لهم و(خاصة المسلمين) يرغبون بمعرفة مستقبلهم فيذهبون إلى المسيحيين النساطرة للحصول على هذه الرغبة، بينما نادراً ما يحدث العكس[1].

وهناك عدَة طرق للتنبؤ بالمستقبل، إلاَ إن الطريقة الشائعة والموثوق بها عند النساطرة هي(أعداد أو أرقام الإسم)، إذ تؤخذ حروف إسم المتقدم وتسجل قيمتها العددية (لكل حرف في الأبجدية السريانية له قيمته العددية)، ومن ثم يتم جمعها، ويقسم المجموع على رقم غامض إذ كان الرقم (19)الأكثر إختياراً[2]. وبعد أن يقسم المجموع يؤخذ إما ناتج القسمة أو الباقي منه، ويتم إستنتاج معلومات منه فيما إذا كان فردياً أو زوجياً[3]. وكان الدواء في أغلبه دواءاً سحرياً، أو يوصف بمساعدة السحر، فكان الدواء الذي يكتب على قصاصات ورق صغيرة يستخدم بعدة طرق، فالحبر الموجود على الورقة يمكن إزالته بالماء وإعطاءه للمريض ليشربه، أو أن القصاصات الورقية تحرق بجانب سرير نوم المريض وتبخر الغرفة بدخانها[4].

وإعتقد النساطرة أيضاً بالعين الشريرة أو الحاسدة حيث كانوا يخافون ويكرهون الشخص الذي يعتقدوا بأنه ذو عين حاسدة، بسبب الضرر الذي يلحقه وجوده بينهم، وإعتقادهم هذا مفاده أن الحاسد إذا ما نظر إلى حمل (خروف) فإن الذئب سيأكله وأن نظرته تقلب إبريق الحليب وتسكبه على الأرض، أو تتسبب في تعثر الطفل ووقوعه في النار[5].

وهناك ممارسات أخرى تعود إلى الأزمة القديمة مارسها النساطرة إلى الآن، ومنها التضحية بالحيوان (الضحيّة)، وهو أمراً بدا غريباً عند المسيحيين الغربيين لبقائه بين تلك الجماعة المسيحية الشرقية، على الرغم من أنه مألوفا في العقيدة الإسلامية، إلاَ أن هذه الممارسة ظلت منتشرة بينهم بشكل واسع وأكثر علانية[6]. وقام النساطرة بهذه الممارسة بالإلتزام بالطقوس الموجودة في العهد القديم، فالحيوان الضحيَة المخصص لتلك الشعيرة، وغالباً ما يكون جدي، وأحياناً ثور أو جاموسة، يتم جلبه إلى الكنيسة من قبل مالكه، أو الشخص مقدم الضحيَة، حيث يقابله القسيس أمام الكنيسة ليتلوا عليه بعض الصلوات المعينة والأدعية، وبعدها يذبحها من الرقبة، وهذه الطريقة في ذبح أي حيوان من أجل الحصول على لحمه، هي الطريقة المعتادة والمحصورة بين المسلمين، إلاَ إن النساطرة قاموا بذلك لأسباب طقسية شعائرية، لا من أجل الحصول على لحم ذلك الحيوان وأكله[7]. ومالك الحيوان حتى وإن إشتراه غيره هو الذي تقع عليه مسؤولية ذبح الضحيَة وبمساعدة أعضاء الكنيسة أو معاونو القسيس، ثم بعد ذلك تُقطع في حوض الذبح المقدس، يأخذ القسيس الجلد والكتف كإكرامية له، ويكون عادة أحد المدعوين للمأدبة التي سيقيمها صاحب الضحيَة في باحة الكنيسة وفي مراحل تأريخية لاحقة، صارت بيوت النساطرة في كردستان، المكان الوحيد الذي تمارس فيه طقوس الضحيَة بشكل علني[8]. من المؤكد هنا إن تشابه تقاليد النساطرة مع تقاليد العهد القديم،إنما كان نابعاً من رغبة تلك الجماعة المسيحية، الضالَة عند البعض، في تمسكهم بالآراء التي أطلقها عليهم الغربيين من أنهم أحفاد الآشوريين القدماء أو الأسباط العشرة الضائعة من بني إسرائيل .

وبلا شك ، فإن ممارسة الضحيَة بالحيوان لم تكن الشعيرة البدائية الوحيدة، مضافة إلى السحر والتنجيم، التي إحتفظ بها النساطرة كجزء من حياتهم الإجتماعية، إذ كانت تشكل جزءاً متجذراً في حياتهم حتى بداية القرن العشرين، ففي بيت نسطوري إعتيادي كانت طرق الحياة في عام 1900، هي ذاتها الطرق القديمة التي عاشها أسلافهم القدماء، فكان من الطبيعي عندهم الإستحمام في الهواء الطلق، أو أن يرى البطريرك فتاةً تستحم وهو واقف على سطح قصره، كما كان شيئاً مألوفاً أن يكون لكل بيت نسطوري فرنه

(1) W.A.Wigram,Op.Cit.,P.76.

(2) لا يعرف بالضبط سبب اختبارهم الرقم (19)، غير ان هناك بعض الحركات الدينية قبل البابية Babis في وقت ما كانوا يختارون عدداً معيناً ويصفونه بأنه عددهم المقدس. ينظر: توفيق حسن مصطفى، المصدر السابق، ص ص70- 74.

(3) W.A.Wigram,Op.Cit.,P.77.

(4) Ibid, P.78.

(5) توفيق حسن مصطفى، المصدر السابق، ص78.

(6) W.A.Wigram.Op.Cit.,P.78.

(7) Ibid,P.80.

(8) Ibid,P.82.

(تنوره) الخاص به حيث يحضَر الخبز فيه بشكل يومي، إذ كان إستخدام تنور بيت آخر يعتبر عاراً على كل ربة بيت تحترم نفسها، والتنور النسطوري عبارة عن حفرة في الأرض تشعل النار فيها ويلصق العجين على جوانبه بقطع كبيرة[1].

ومن الممارسات الأخرى التي إمتاز بها النساطرة هي ولعهم وتعلقهم بالأسلحة، فدائماً ما كان النسطوري حاملاً لسلاحه معه، وذلك بسبب قساوة المنطقة التي يعيش فيها ، وصراعه مع الأقوام المجاورة له، لاسيما الأكراد[2]. واستلزمت طبيعة الظروف الحياتية للنساطرة تلقي أبناء القبائل الرُحل (باز،وديز)، تدريبات عسكرية في معظم الأوقات، ووفقاً لذلك كان على كل ولد يصبح في سن التاسعة أو العاشرة من عمره بأن يعطى قوساً وسهماً من قبل عائلته وعندما يكبر يعطوه خنجراً معقوفاً يخبئه في ملابسه، ولذلك فإن كل رجل نسطوري يصبح بالغاً (عمره 18سنة فما فوق)، يتم قبوله كجندي عند رئيس قبيلته (الملك)، ويسلم له سلاحاً تنوع بين البندقية قديمة الطراز أو الخنجر المعقوف[3]. وكما هو الحال مع المدنيين النسطوريين فإن الرهبان في الكنائس كانوا يستعملون السلاح والأدوات القاطعة، ومولعين بالأسلحة النارية ولديهم قدرة ومهارة في إستخدامها فبعد الإنتهاء من طقوسهم الدينية فإنهم يذهبون للتدريب على إستخدام الأسلحة وإظهار مواهبهم ومهاراتهم في إستخدامها، وكانوا يتباهون بذلك، وخلال القرن التاسع عشر حمل النساطرة بنادق نارية وحزام ذخيرة خاص بهذه البنادق وحقائب وخناجر متنوعة، إذ كان الخنجر المعقوف يمثل سلاحاً وطنياً لأيمكن لأي رجل نسطوري السير بدونه [4]. وكان من أوسع طموحات أي رجل نسطوري يعيش في الجبال، هو الحصول على أفضل وأحدث سلاح[5].

إضافة إلى اهتمام النساطرة بالسلاح، كان لهم إهتماماً آخر – ربما شكّل عند البعض عيباً إجتماعياً – تمثل بإشتهارهم بالسرقة، وكان الناس الذين يسرقون منهم عادة ما كانوا أكراداً سرقوا أيضاً من النساطرة، أو كاثوليكياً كانوا في خلاف طائفي معهم[6]. وحتى التبشيريين الغربيين المسافرين في المناطق النسطورية (وخاصة البروتستانت)، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا كاثوليكياً إلاَ إنهم لم يكونوا في مأمن من السرّاق النسطوريين،الذين لا يترددون عن سرقتهم ما داموا يدخلون الأراضي النسطورية من دون السماح لهم بذلك[7]. وفي هذا السياق أشار أحد الرحالة الإنكليز في سنة 1842م إلى أنه( **في الأراضي النسطورية لا يمكن للمسافرين حماية أملاكهم من السرّاق)**[8].

وفي سنة 1889م قام ملك (رئيس عشيرة) بيركو ورجاله في قرية گاويا التابعة لمقاطعة حيكاري بسرقة راهب فرنسي في جبال حيكاري التي كان السفر فيها مخيفاً وخطراً[9]. ولذا كان على الذين يرغبون بالسفر خلال المناطق الجبلية التي سكنها النساطرة إظهار وثيقة يمنحها البطريرك النسطوري في قوچانس حتى تكون رحلتهم في مأمن من السرّاق واللصوص، علماً أنه وفي بعض الأحيان فإن وثيقة الترخيص تلك كانت غير قانونية وغير نافذة عند بعض النساطرة الذين دأبوا على سرقة كل من مرّ بأراضيهم، سواء كانوا مرخصين أم غير مرخصين[10]. فهناك أشخاص يأخذون الرسالة اللازمة من البطريرك من أجل السفر بأمان، وأن هناك عدد من القواعد الشفوية على الأجانب الإمتثال لها إلى جانب الرسالة، فالهدايا مثلاً كانت تؤمن سفر الأجنبي، وتكسبه ثقة النسطوري. فكانت هذه الهدايا بمثابة الضمانات الحقيقية في تأمين السفر، وأن الأجنبي الذي لا يحمل مثل تلك الرسائل أو الضمانات يعتبر عدواً وجب قتله ورمي جثته في إحدى الأنهار أو الوديان العميقة، وهو ما حصل مع ضابط عسكري إنكليزي يدعى (كوبيل) ومبشراً أمريكياً يدعى

(1) Ibid,P.86.
(2) F.G.Coan ,Yasterdays in Persia and Kurdistan , Claremont ,calfornia, 1939, P.44.
(3) F. N. Heazell and Mrs , Margoliouth , Kurds and Christians, London, 1913, P118.
(4) F.G.Coan,Op.Cit.,P.51.
(5) Ibid, P.53.
(6) F. L. Cutts, Christians under the Crescent in Eslam, London, 1877, P.200.
(7) Arthur.J.Maclean and William.H.Brown,OP.Cit.,P,331.
(8)W. Ainsworth, Travels and Researches in Asia Minor, Mesopotamia, chaldea and Armenia, vol.2, London,1842,P.192.
(9) F.L.Cutts,OP.Cit.,P.207.
(10) Ibid,P.209.

(كوين) ومبشر كاثوليكي فرنسي يدعى (ديديه)، إذ لاقى الثلاثة المصير ذاته في القتل وسرقة الملابس والممتلكات الخاصة بهم ومن ثم رميهم في أحد الأنهار،وعلى الرغم من حقيقة أن المبشرين عاشوا مع النساطرة وزاروا مناطقهم بإستمرار، إلاَ إن ذلك لم يمنع من حصول تلك السرقات[1] .يمكن القول إن طبيعة الحياة التي عاشها النسطوري وما كان يعانيه من فقر وعوز،مضافاً إليها طبيعة المنطقة الجغرافية التي كانت توفر لهم مأمناً كبيراً من الحماية،جميعها إحتمالات ممكنة الحصول في ممارسة النساطرة للسرقة والاستمرار عليها.

إن اهتمام النساطرة وولعهم بالسلاح، وممارستهم للسرقة فضلاً عن شخصيتهم الشرسة، أدت إلى إنتشار عدد من المعتقدات الخاطئة بين أفراد المجتمعات المحيطة بهم، والتي كانت سبباً مضافاً في بقاءهم منعزلين في مناطقهم الجبلية، فالمجتمع المسلم كان لا يسمح في تلك الفترة من مبيت المسلمين في مناطق النساطرة القريبة منهم، لأنه يعتقد أن هناك أشخاصاً يدمرون البشر بإستخدام أنواعاً من الكلمات السحرية ، وفي مجتمع ساده الجهل والتخلف، كان من السهل جداً إنتشار ذلك النوع من الخرافات ليس في مجتمع المسلمين فقط بل وفي مجتمع المنطقة كلها، وقد لعبت وحشية النساطرة في سرقتهم للمارين في أراضيهم ومن ثم قتلهم، دوراً ملحوظاً في زيادة وتأكيد هذه الخرافات فمثلاً وفي نهاية إحدى المعارك مع الأكراد قامت مجموعة منهم بأسر سبعة من الأكراد جرى قطع رؤوسهم وتعليقها على إحدى الجسور المتجهة نحو منطقة النساطرة، فأدت هذه الحادثة وغيرها إلى أن يكون للنساطرة سمعة سيئة بين المسلمين، ومع ذلك لم تكن هناك عداوة مستمرة بينهم، لكن هذا لا يعني أيضاً أنه لم يكن هناك موقفاً عدائياً بعضهم ضد البعض الآخر[2]. ومع كل هذا، ونتيجة لهذه الصفات الميزة للنساطرة كانت عمليات السلب والنهب تعد أمراً إعتيادياً، فإذا ما تم الحصول على أية غنيمة فإن ذلك سيعلن بين النساطرة بفخر كبير، وهو ما حصل في سنة 1891م عندما هاجموا إحدى القرى الكردية (گال) في منتصف الليل، وسرقوا منها خمسمائة رأس غنم، وفي طريق عودتهم لاحظوا بأن سرقة الأغنام من دون مهاجمة أعدائهم لم يكن عملاً مرضيا، فرجعوا إلى قرية الأكراد وأيقظوهم وإشتبكوا معهم في معركة قتل فيها ثلاثة من الأكراد كان من بينهم رجل من الدرك (الشرطة) العثمانية، وبعدها عادوا إلى ديارهم ومعهم الأغنام وعدد من البنادق[3].

وفي القرن التاسع عشر، ومن بين النساطرة كانت قبيلة تيارى العليا، والعشائر في وادي ديز هما الأكثر مهارة في السرقة والنهب، وكانت قبيلة تيارى تعطي ما نسبته (10%) من ما تحصل عليه من عمليات السرقة والنهب للقطعان والممتلكات، إلى كنيسة ماري مريم (مارت ميريام)، في وادي والتو التابع لهذه القبيلة، يأخذ منها القساوسة نسبة (7%)، وهي حصتهم التي يحصلون عليها لدورهم المهم في شرعنة السلب والنهب ضد المجاورين، وجعلها قانونية من الجانب الديني فمثلاً حين سرق بعض النسطوريون من قبيلة ديز بقرة من أحد المسلمين، جرى بينهم جدال ونقاش حول فيما إذا كانت البقرة حلالاً أم حراماً، فأجاب قسيس منطقة ديز الذي تم إستشارته مباركاً البقرة بالصلاة عليها وحلل ذبحها ، فنال رضا جماعته وتأييدهم[4].

ومن العادات التي تمسك النساطرة بها هي عادة الأخذ بالثأر والتي جرت لعدة أسباب منها الرعي وسرقة المواشي، وخاصة الأغنام، وكانت تدوم لفترة طويلة، ولمَا كان من الصعب إنهاء حالة الأخذ بالثأر فإن عدداً كبيراً من الناس، كانوا يقتلون أو يصابون وعلى الرغم من أن البطريرك نفسه كان يشترك في حل مثل تلك الأمور بين فترة وأخرى، إلاَ أنه لم يكن قادراً على إنهاء هذه الحالة بسلام [5]. ويسمى الشخص الذي يقوم بأخذ الثار بـ( ولي الدم )، وبإستطاعت القاتل اللجوء إلى الكنيسة التي تمثل ملجأً أميناً له، ويبقى فيها دون أن يمسه ولي الدم إلى أن يأتي كهنة الكنيسة وقسيسوها وشيوخ القبيلة التي ينتمي إليها، ويناقشون الحالة فإذا كانت

(1) Arthur.J.Maclean and William.H. Brown,Op.Cit.,P.338.

(2) توفيق حسن مصطفى، المصدر السابق، ص103.

(3) Dalyan Gokhan Dalyan, Inheritance, Cindolence,Op. Cit.,P.262.

(4)W.A.Wigram,OP.Cit.,P.98;F.G.Coan,OP,Cit.,P.59.

(5) Ibid. P.68.

بسوء نية يسلّم إلى ولي الدم ليُقتل إستناداً إلى سفر يشوع، وإن كان بدون قصد تحدد دية نقدية[1]. وإذا ما نشأ الأخذ بالثار بين القبائل من سبب بسيط فالأطراف المتنازعة تنهي المسألة من خلال دفع مبلغ معين من المال (الدّية) عن طريق بعض الوسطاء، أما عندما كان الأخذ بالثأر يتعاظم ويشتد بين النساطرة لجأت بعض الأطراف إلى الأكراد وتحالفت معهم[2].

ففي سنة 1881م قامت قبيلة ديز النسطورية في منطقة حيكاري، بإقامة تحالف مع جيرانها من قبيلة بيليكاني الكردية، من أجل القتال معها ضد قبيلة تيارى العليا التي كانت في نزاع معها، فإنتقمت قبيلة تيارى من هذا التحالف من خلال تحالفها مع جارتها قبيلة أرتوسي، ومن أجل منع وإيقاف التوتر بين القبليتين النسطوريتين وحصول نزاع مسلح بينهما أرسلت الحكومة العثمانية قواتها إلى منطقة حيكاري لمراقبة الأوضاع وتهدئتها [3]. وبعد سنة من ذلك التحالف نشب صراع مسلح بسبب ثأر قديم حول مناطق الرعي بين قبائل باز وجيلو النسطوريتين، وبعد تدخل القساوسة والرهبان تصالح الطرفان وانتهى الثأر بينهما، والثابت تاريخياً أن عادة الأخذ بالثأر عند النساطرة كانت قد إستمرت حتى بداية القرن العشرين[4].

وبالنسبة ليوم السبت فالنساطرة إستبدلوه بيوم الأحد، ولكن مع ذلك بقيت الطقوس والمراسيم اليهودية حاضرة في صلاة النساطرة ليوم السبت، فهم يصلّون المزمور الخامس والتسعين يوم الجمعة عصراً لإستقبال السبت كما هو عند اليهود، ولم ينقلوه إلى عصر السبت لإستقبال الأحد كما هو عند بقية المسيحيين، وإستعمل النسطوريين نفس الكلمات والطقوس التي إستعملها اليهودي في الصلاة للتمييز بين النجس والطاهر من الأكل وغسل الآنية في الكنيسة والتي وردت في بعض أسفار اليهود (التكوين والتثنية)، مثل كلمة (حف دالا) المشتقة من كلمة (هيفيدل) العبرية، وكلمة (بيركيتا) التي تعني الصلاة والبركة، كما إعتمد النساطرة في ألحانهم وتراتيلهم الدينية التي يؤدوها في كنيستهم بشكل رئيس على المقامات التي إستعملها اليهود مثل مقام النهاوند الذي إستعمله يهود أورمية الفارسية والتي كانت الموطن الرئيسي للقرائين اليهود، وهذا المقام مختلف من حيث الفواصل عن مقام النهاوند الذي إستعمله السريان[5].

ووجدت لدى النساطرة أعياداً كثيرة منها، العيد الأكبر (عيد القيامة)، والعيد الأصغر( عيد الميلاد)، وعيد الدنح وهو عيد تعميد السيد المسيح في نهر الأردن، فضلاً عن الكثير من الأعياد، التي تسمّت بأسماء القديسين والشهداء [6]. ويأتي العيد الكبير بعد صيام خمسين يوماً، ويصادف عادة يوم الأحد، وخلال الصيام يمتنعون عن تناول جميع أنواع اللحوم والمواد الدهنية[7]. وبعد إنتهاء الصيام، يقومون بأداء طقوس دينية في كنائسهم حتى منتصف الليل، يوزع بعدها أحد القسس نوعاً من الشراب وقطعاً صغيرة من الخبز على الموجودين في الكنيسة، ويسمى هذا (قربانا Qurban) وهي كلمة شبيهة بكلمة( Korban) الموجودة في الأناجيل والتي تعني الشيء المكرس للرب والتقرب إلى الإله الأعلى[8]. وبعد تناولهم القربان يسمح لهم بتناول الأشياء الممنوعة بعدها يقوم بعض الشباب

(1) دبليو.أي .ويكرامم واخرون، المصدر السابق ص253.

(2) F.G.Coan,Op.Cit.,P.63.

(3) Ibid.P.67.

(4) Ibid, P. 68.

(5) إن كثيراً من النسطوريين واليهود لا ينكرون أصولهم المشتركة ، وذكر أحد أعضاء البعثة الانجليكانية للنساطرة المبشر (هنري هول) إنه حين سأل أحد أحبار اليهود عن رأيه في النساطرة كان جوابه: **" أنهم إخواننا وأبناء جنسنا"** ، لكننا لا نريد الإعتراف بهم لإنجرافهم عن الشريعة الموسوية منذ العصور القديمة (أي منذ إعتناقهم المسيحية)، ولهذا السبب يُعد يهود العمادية في الموصل من أشد المعادين للمسيحيين النسطوريين حتى إن قسماً منهم لا يلفظون إسم المسيح بل يقولون ذلك الدجال الذي جاء بديانته الجديدة، وعندما سألته عن الفرق بين المسيحية النسطورية والمسيحية الغربية قال: **" إن تاريخنا يمتد إلى العصور المسيحية الأولى فنحن من بني إسرائيل ، ولذلك نتمسك بكل الفرائض والطقوس التي تمسك بها أجدادنا القدماء، أما انتم يا أبناء الغرب فلا تجدون أنفسكم ملتزمين بتقاليدنا والسير في ركابنا"**. ينظر: دبليو.أي.ويكرام وإدكار.تي .أي. ويكرام، المصدر السابق، ص354؛ موفق نيسكو، المصدر السابق، ص ص 220- 221.

(6) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص 43.

(7) W.A.Wigram,Op.Cit.,P.199.

(8) bid, P.79.

بتأدية بعض الألعاب المختلفة، بينما يذهب الكبار لتبادل التهاني والزيارات فيما بينهم، ويستمرون على ذلك لمدة أسبوع كامل[1].

أما العيد الصغير، ودائماً ما يكون في شهر كانون الأول من كل سنة فيسبقه صيام لمدة خمسة وعشرون يوماً، تجري بعد الإنتهاء منها طقوس ومراسيم مشابهة تقريباً لما يجري في العيد الكبير، مضافاً إليها إجراء قداس ديني في الكنيسة يحضره الكثير من النساطرة، رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وقبل الإنتهاء من ذلك القداس يقوم أحد رجال الدين بتوزيع الجوز على الحاضرين، وفي ليلة عيد الميلاد يسهر النساطرة في كنائسهم حتى الصباح ، حيث يفطر الصائمون منهم بتناول اللبن ونوع من الخبز يسمونه (كاده)، وبعد ذلك يتبادلون الزيارات فيما بينهم، وفي الوقت الحاضر إقتصرت أغلب هذه الممارسات على كبار السن النسطوريين، لاسيما في القرى البعيدة عن مراكز المدن، التي أقام أبنائها وفي أعياد رأس السنة حفلاتهم الراقصة حتى الصباح، توزع خلالها المشروبات الروحية وتجري بعض المسابقات[2].

وبعد العيد الصغير بأسبوع واحد، يأتي عيد الدنح وفيه يغتسل النساطرة جميعاً قبل ذهابهم إلى الكنائس لأداء الصلاة اليومية، وفي هذا العيد أيضاً يتم تعميد الأطفال غير المعمدين وتقام بعض حفلات الخطوبة والزواج علماً أن الأعياد النسطورية أعلاه لا تتمتع بنفس الدرجة من الأهمية[3].

وإستخدم النساطرة كنائسهم، كأماكن لعلاج المرضى، وكثيراً ما كان المصابون بالجذام والصرع والمختلين عقلياً يجلبون إليها بوصفهم (مسكونين)، ويتركوا فيها بعد أن تُكبل أيديهم بالقيود، ليتم بعد ذلك وضعهم في المكان المقدس من الكنيسة لمدة يوم إلى ثلاثة أيام، وغالباً ما عولج بعضهم مما كان يؤمن منهم بهذا العلاج[4] .

وتميزت قبليتا تخوما وديز، عن بقية القبائل النسطورية الأخرى، بعمل ندبات الوسم (الوشم) ، وهي عبارة عن علامة دائرية تشبه ندبة التلقيح ضد بعض الأمراض،وتتكون بعد إحراق نبات معين يوضع على ذراع الشخص صاحب الوسم، والغرض منها إختبار ذراع الشخص، والوقوف على مدى شجاعته وصبره وجلده[5].

وهنالك تقاليد وعادات إنفرد بها النساطرة رجالاً ونساءً، منها أن النساء النسطوريات وبعد وفاة أزواجهن يعلنَ الحداد بقص شعور رؤوسهن ، وعدم وضع الحلي والزينة وعدم الذهاب إلى الغابات والأحراش لجمع الحطب إلاَ بعد مرور ستة أشهر على وفاتهم[6].

**الخاتمة**

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها بالآتي:

1- عدَت مسألة إرتباط الرئاسة الدينية بمبدأ الوراثة لدى النساطرة من الضرورات التي ينبغي الإلتزام بها وتطبيقها، كما وإشترطت حصرها في عوائل معينة ، مما أدى بالتالي إلى إعطاء مثل تلك العوال الإهتمام الأكبر من القدسية والإحترام.

2- أدى تميز الكنائس النسطورية في كردستان من جانب الشكل المعماري، وخاصة في ما يتعلق ببساطتها في البناء، بأن تستمر بشكلها وطابعها الشرقي المتأثر بثقافة وعادات الشعوب الشرق أوسطية، وبالتالي إستمرار النساطرة في المحافظة على طابعهم الشرقي الخاص بهم.

(1) جريدة التآخي، العدد (920)، بغداد، 25 كانون الأول، 1971.

(2) رياض رشيد ناجي الحيدري، المصدر السابق، ص 44.

(3) المصدر نفسه، ص45.

(4) W.A.Wigram,Op.Cit.,P.201.

(5) موفق نيسكو، المصدر السابق، ص223.

(6) المصدر نفسه، ص234.

3- حاول النساطرة وبمختلف الوسائل في أن تكون طقوسهم وعباداتهم تتوافق وبشك كبير مع ثقافتهم الشرقية، على الرغم من التغيرات والتطورات التي كانت تحصل على تلك العادات وفي مراحل تأريخية طويلة ومختلفة.

4- تميزت طقوس الزواج والوفاة عند النساطرة ببعض الميزات الإسلامية التي تؤكد على تأثرهم بالمجاورين لهم لاسيما الأكراد.

5- إعتقاد البعض ببعض الطقوس والممارسات الدينية مثل معرفة المستقبل أو الدواء السحري يؤكد بما لا يقبل الشك على درجة التخلف والعبودية التي يعيشونها.

6- إهتمام النساطرة بالأسلحة إنما فرضته طبيعة الحياة الصعبة وطبيعة المنطقة الجغرافية التي عاشوا فيها، إنتقال ذلك الإهتمام إلى رجال الدين إنما يؤكد تلك الفرضية.

7- إختلاف العادات والتقاليد بين قبيلة نسطورية وأخرى، إنما هو ناتج من قوتها وضعفها وقدرتها على التصدي لأعدائها سواء كانوا من أبناء جلدتهم أو المجاورين لهم.

**قائمة المصادر**

**أولاً- الرسائل والأطاريح الجامعية:**

1. رياض رشيد ناجي الحيدري، الاشوريون في العراق 1918- 1936، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، 1973.

**ثانياً- الكتب**

**أ-الكتب الأجنبية**

1- Arthur. J. Maclean and Willian . H. Browne, The Catholicos of the East and Huspeople (London, 1892).
2- Aubrey.R.Vine, The Nestorian churches A concise History of Nestorian Christianity in Asia from the Persian schism to the modern Assyrians, London, 1937
3- F. L. Cutts, Christians under the Crescent in Asiam London, 1877.
4- Fortescue, Adrian, The Lesser Eastern chraeches .London ,1913.
5- Frederick .G. Coan , Yasterdays in Persia and Kurdistan , Claremont , 1939.
6- F. N. Heazell and Mrs , Margoliouth , Kurds and Christians, London, 1913.
7- Henry .Field, The Anthropology of Iraq . vol.2, Kurdistan , 1952.
8- Justin Perkins, A residence of Eight Years in Persia , abiny The Nestorians Christians with Notices of the Muhammedans, New York, 1843.
9- Murat Gokhan Dalyan , Inheritance, condolence and funeral procession in Nestorian Society in the 19 th century, Turkey, 2011.
10- Murat.Gokhan. Dalyan ,Yuzyil Nasturilerindekilik Kultura, Adryaman Universitesi ,2010.
11- W. A. Wigram, The Assyrians and their Neighbours (London , 1929).

**ب-العربية:**

1- أحمد تاج الدين، الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2001م.
2- أسامة نعمان، تاريخ الآشوريين،ج1، بغداد، 1970.
3- انور المائي، الأكراد في بهدينان، الموصل، 1960.
4- توفيق حسن مصطفى، ممارسات وطقوس قديمة، القاهرة، مطبعة جادة القدس، 1957.
5- عزت زكي، كنائس الشرق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
6- محفوظ محمد عمر العباسي، إمارة بهدينان العباسية، الموصل، 1969.
7- موفق نيسكو، السريان الاسم الحقيقي للآراميين والآشوريين والسريان، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2012م.

**جـ-المترجمة:**

1- ألبرت مينتشاشفيلي، العراق في سنوات الإنتداب البريطاني، ترجمه عن الروسية رؤوف الكاظمي، موسكو 1969.

2- إيشو مالك خليل جوارو، الآشوريون في التاريخ، ترجمة عن الإنكليزية سليم واكيم، بيروت، 1962.

3- توركوت فخري بيك، نظام الملل وأثره على الدولة العثمانية، ترجمة فتحي حسن حمدي، القاهرة، 1969.

4- دبليو. أي . ويگرام وادگار . تي. أي . ويگرام، مهد البشرية الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، اربيل، 2010.

5- ستورث أرسكين، فيصل ملك العراق، عربه عن الانكليزية عمر أبو النصر، بيروت، 1934.

**د-الفارسية:**

1- أحمد رهدار، مبلغان مسيحي وتبليغ عليه اسلام درإيان عصر قاجاريه، ميان رشته أي رواق أنديشه، تهران، 1384هـ.ش.

2- سيد علي مجيد ميردامادي، مسيحيت در إيران ، إطلاع رساني وكتابداري ، كتاب ماه دين، تهران ، 1377.هـ.ش.

3- محمد علي سجادية، سخني چند بيرامون كردها ولهجة كردي، ارمغان دجوره سي وهشتم، مرداد وشهر يور 1348، شماره و49.

**ثالثاً- الصحف:**

1- بطرس عزيز ، إكرام الصليب والصور عند النساطرة، مجلة المشرق، العدد (18)، السنة العاشرة، بغداد، 5 أيلول، 1907م.

2- بطرس نصري الكلداني ، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة والسريان ، مج2 ، الموصل ، مطبعة الآباء الدومنيكان ، 1913.

3- جريدة التآخي، العدد (920)، بغداد، 25 كانون الأول، 1971.

4- عبد الكريم هادي، المجتمع العثماني عادات وتقاليد مستوحاة، بغداد، جريدة الاستقلال، العدد(254)، 15 تشرين الأول 1923.

**رابعاً- المقابلات الشخصية:**

1- مقابلة شخصية أجراها الباحث مع السيد يوناداب النسطوري في باحة كنيسة(مريم مقدس) في مدينة تبريز بتاريخ 2014/6/18.